

بستان العارفين ، الإصدار 2.01

@للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

@ [ص 3]

الحمد لله ولي التوفيق، ومهدي من استهداه لأقوم الطريق. والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الداعين وإمام الهادين. ورضي الله عن أصحابه الغر الميامين وسلم تسليمًا. وبعد؛ فمن نعمة الله علينا معشر المؤمنين، تسهيل طرق الهداية، وفتح أبواب العلم بتسخيره لنا هذه الطباعات الحديثة، التي تظهر لنا الكتب الدراسة من العدم، وتكشف ما اندرس من كلام الأوائل من أحكام وحكم، الذين وضعوا للمسلمين مناراً واضحاً لكل مستنير، ونصبوا لنا علماً لا عوج فيه ولا أمتاً، من تمسك به وصل، ومن أعرض عنه هلك، فألفوا لنا الكتب والرسائل، وبينوا ما فيها من الفضائل؛ وأستاذ من ألف وكتب، إمامنا ومرشدنا (يحيى بن شرف النووي) -رضي الله عنه ونفعنا به- المحدث الكبير، والمحقق النحرير، والناصح الأمين الذي فاق أهل زمانه: علماً، وزهداً، وورعاً. [ص 4] وها أنا ذا! أتبرك بكتابه (بستان العارفين) ببعض ما نقل عنه من ذكريات طيبة وأثر، من يشهر، وأعرف من أن يعرف، ولكن ` ` وما كتب من أحوال صحيحة وخبر حديثهم - حقاً - لا يمل، وذكرهم دواء لكل هم وغم.

ولله در القائل:

كُرِّ عَلِيَّ حَدِيثُهُمْ يَا حَادِي < > فَحَدِيثُهُمْ يَجْلُو الْفُؤَادَ الصَّادِي

فأقول نقلاً عن (تذكرة الحفاظ) للحافظ الذهبي مع اختصار بعض العبارات: التعريف

بالإمام النووي رضي الله عنه: نسبه، مولده، اشتغاله بالعلم، حرصه عليه. [ص 5]

التعريف بالإمام النووي رضي الله عنه

نسبه: هو الإمام الحافظ الأوحى، القدوة شيخ الإسلام، علم الأولياء محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الخزامي، الحواري (الشافعي) صاحب التصانيف النافعة.

مولده: ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمئة، وقدم (دمشق) سنة تسع وأربعين وستمئة، فسكن في الرواحية يتناول خبز الدراسة، فحفظ (التنبيه) في أربعة أشهر ونصف، وقرأ ربع (المهذب) حفظاً في باقي السنة على شيخه الكمال بن أحمد. ثم حج مع أبيه وأقام بالمدينة المنورة شهراً ونصفاً، ومرض أكثر الطريق.

فذكر شيخنا أبو الحسن ابن العطار: أن الشيخ محي الدين ذكر له أنه كان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على مشايخه شرحاً وتصحيحاً.

درس في "الوسيط"، ودرساً في "المهذب"، ودرساً في "الجمع بين الصحيحين" ودرساً في "صحيح مسلم" ودرساً في "اللمع" لابن جني، ودرساً في "إصلاح المنطق" ودرساً في "التصريف"، [ص 6] ودرساً في "أصول الفقه" تارة في "اللمع" لأبي إسحاق، وتارة في "المنتخب" للفرارزي، ودرساً في "أسماء الرجال"، ودرساً في "أصول الدين" ..

وقال: وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل، وتوضيح عبارة، وضبط لغة، وبارك الله تعالى في وقتي، وخطر لي أن أشتغل في الطب، فاشتغلت في كتاب "القانون"، وأظلم قلبي بقيت أياماً لا أقدر على الاشتغال، فأشفقت على نفسي وبعث القانون فنار قلبي.

شيوخه: سمع من الرضي بن البرهان، وشيخ الشيوخ عبد العزيز بن محمد الأنصاري، وزين الدين بن عبد الدائم، وعماد الدين عبد الكريم الخرستاني، وزين الدين خلف بن يوسف، وتقي الدين بن أبي اليسر، وجمال الدين بن الصيرفي، وشمس الدين بن أبي عمر، وطبقتهم.

وسمع من الكتب الستة، والمسند، والموطأ، وشرح السنة للبخاري، وسنن الدارقطني، وأشياء كثيرة، وقرأ "الكمال" للحافظ عبد الغني علاء الدين. وشرح أحاديث "الصحيحين" على المحدث ابن اسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي، وأخذ "الأصول" عن القاضي التفليسي "وتفقه" على الكمال إسحاق المعري. وشمس الدين عبد الرحمن بن نوح، وعز الدين عمر بن سعد الإربلي، والكمال سلا الإربلي، وقرأ "اللغة" على الشيخ أحمد المصري وغيره، وقرأ على ابن مالك شيئاً من تصنيفه، ولازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم، والعبادة، والأوراد، والصيام، والذكر، والصبر على المعيشة الخشنة في المأكل، والملبس، كلية لا مزيد عليها، "ملبسه" ثوب خام، و "عمامته" سبجلائية صغيرة!. [ص 7]

تلاميذه: تخرج عنه جماعة من العلماء منهم: الخطيب صدر سليمان الجعفري، وشهاب الدين الإربدي، وعلاء الدين ابن العطار. وحَدَّث عنه: ابن أبي الفتح، والمزني، وابن العطار.

اجتهاده، حفظه، زهده: قال ابن العطار: ذكر لي شيخنا رحمه الله تعالى، أنه كان لا يضيع له وقت لا في ليل ولا في نهار، حتى في الطريق، وأنه دام ست سنين، ثم أخذ في التصنيف والإفادة والنصيحة وقول الحق.

قلت: مع ما هو عليه من المجاهدة بنفسه والعمل بدقائق الورع والمراقبة، وتصفية النفس من الشوائب ومحققها من أغراضها، كان حافظاً للحديث وفنونه، ورجاله وصحيحه وعليه، رأساً في معرفة المذهب!

قال شيخنا الرشيد بن المعلم: عدلت الشيخ محي الدين في عدم دخوله الحمام، وتضييق العيش في مأكله، وملبسه، وأحواله، وخوفته من مرض يعطله عن الاشتغال فقال: إن فلاناً صام وعبد الله حتى اخضر جلده!.

وكان يمتنع من أكل الفواكه والخيار ويقول: أخاف أن يرطب جسمي، ويجلب النوم! وكان يأكل في اليوم والليل "أكلة" ويشرب "شربة" واحدة عند السحر! [ص 8].

قال ابن العطار، كلمته في الفاكهة، فقال: دمشق كثير الأوقاف، وأملاك من تحت الحَجْر، والتصرف لهم لا يجوز إلا على وجه "الغبطة" لهم ثم "المعاملة" فيها على وجه "المساقاة" وفيها خلاف فكيف تطيب نفسي بأكل ذلك؟! وقد جمع ابن العطار سيرته في ست كراريس.

تصانيفه: من تصانيفه شرح "صحيح مسلم"، و "رياض الصالحين"، و "الأربعين"، و "الإرشاد" في علوم الحديث و "التقريب"، و "المبهمات" و "تحرير الألفاظ للتنبيه" و "العمدة" في تصحيح التنبيه، و "الإيضاح" في المناسك، وله ثلاثة مناسك سواه، و "التبيان" في آداب حملة القرآن، و "الفتاوى"، و "الروضة" أربعة أسفار، وشرح "المهذب" إلى باب المصراة في أربع مجلدات. [ص 9] وشرح "قطعة من البخاري"، و "قطعة من الوسيط"، و عمل "قطعة من الأحكام"، و "جملة" كثيرة من "الأسماء واللغات"، و مسودة في "طبقات الفقهاء"، ومن التحقيق إلى باب صلاة المسافر. [وقال الحافظ السخاوي المتوفى سنة (902) هجرية: (وله) "بستان العارفين" في الزهد والتصوف بديع جداً].

ورعه: كان لا يقبل من أحد شيئاً إلا في النادر ممن لا يشتغل عليه، أهدى له فقير إبريقاً فقبله، وعزم عليه الشيخ برهان الدين الإسكندراني أن يفطر عنده، فقال: أحضر الطعام ونفطر جملة فأكل من ذلك، وكان لونين، وربما جمع الشيوخ بعض الأوقات بين إدامين! [ص 10]

مواقفه مع الملوك في الأمر بالمعروف: وكان يواجه الملوك والظلمة بالإنكار، ويكتب إليهم ويخوفهم بالله تعالى؛ كتب مرة:

من عبد الله يحيى النووي، سلام الله ورحمته وبركاته على المولى المحسن، ملك الأمراء بدر الدين أدام الله له الخيرات! وتولاه بالحسنات! وبلغه من خيرات الآخرة والأولى كل آماله! وبارك له في جميع أحواله! "أمين". وننهي إلى العلوم الشريفة، أن أهل الشام في ضيق عيش وضعف حال، بسبب هذه السنة في قلة الأمطار..

وذكر فصلاً طويلاً، وفي طي ذلك ورقة إلى الملك الظاهر، فرد جوابها رداً عنيفاً مؤلماً، فتكدرت خواطر الجماعة.

وله رسالة لغير الملك الظاهر في الأمر بالمعروف. وكان شيخاً ابن فرح يشرح على الشيخ الحديث فقال نوبة: "الشيخ محي الدين" قد صار إلى ثلاث مراتب كل مرتبة لو كانت لشخص لشدت إليه الرحال: العلم، والزهد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفاته: سافر الشيخ رحمه الله تعالى فزار بيت المقدس، وعاد إلى نوى، فمرض عند والده فحضرتة "المنية" فانتقل إلى رحمة الله في الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة؛ وقبره ظاهر يزار؛ قاله الشيخ قطب الدين اليونيني، وقال: كان أوحد زمانه في العلم، والورع، والعبادة، والتقلل، وخشونة العيش.

ولد "النووي" في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى، وكان أبوه من أهلها المستوطنين بها. وذكره أبوه - رحمه الله تعالى - [ص 11] أن الشيخ كان نائماً إلى جنبه، وقد بلغ من العمر سبع سنين، ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، فانتبه نحو نصف الليل وقال: يا أبت! ما هذا الضوء الذي يملأ الدار؟ فاستيقظ الأهل جميعاً، قال: لم نر كلنا شيئاً. قال والده: فعرفت أنها ليلة القدر.

وقال شيخه في الطريقة الشيخ ياسين بن يوسف الزركشي: رأيت الشيخ محي الدين وهو ابن عشر سنين "بنوى" والصبيان يُكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم! وبقراً القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي حبه!

وجعله أبوه في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، قال: فأتيت الذي يقرئه القرآن فوصيته به وقلت: هذا "الصبي" يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه، وأزهدهم، وينتفع الناس به، فقال لي: مُنجم أنت؟ فقلت: لا وإنما أنطقني الله بذلك. فذكر ذلك لوالده فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام؛ رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ونفعنا به وبعلومه آمين. [ص 13]

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خير خلقه، وعلى آله وصحبه؛

وبعد؛ فلقد طبع كتاب: "بستان العارفين" عدة مرات، وفي جميعها بعض العبارات غير واضحة، ولقد أتعب الأستاذ المحقق نفسه - جزاه الله كل خير - في تذييل بعضها، وبقي فيها بعض من العبارات الغامضة، حتى وفقني الله تعالى بمقابلة الكتاب على نسخة خطية جيدة وحيدة، محفوظة بمكتبة جامع السليمانية في اسطنبول، قسم رشيد أفندي رحمه الله تعالى، ويرقم [2،348] وذلك خلال زيارتي لمدينة اسطنبول في شهر شعبان المعظم سنة 1404 هـ.

صفة المخطوط وتاريخه: قال ماله في حاشية الصفحة الأخير من المخطوط: "هذا ما كتبه لي الأخ صلاح الدين النيني تغمده الله برحمته، وهو توفي سنة تسع عشرة وثمانمائة، جزاه الله خيراً، وكتبه مالكة الفقير عبد الله الطلياني".

فتبين أن النسخة كتبت في أوائل القرن التاسع الهجري، وأبعادها: 14 في 20 سم، وعدد صفحاتها /65/ صفحة في /33/ ورقة. [ص 14]

عملي في الكتاب: وبعد المقابلة بين المطبوعة والمخطوط أثبت نص المخطوط في أصل الكتاب، أما موطن الخلاف فقد أثبتته في الحاشية.

وبالنسبة لعناوين الفصول والأبواب: فالذي ليس للإمام النووي - رحمه الله تعالى - فقد قيده بقوسين هكذا: [] أداء لأمانة العلم. وإذا كان في المطبوع نص أو كلمة لم تكن في المخطوط، وضعتها - أيضاً - بين قوسين هكذا: [].

فرحم الله إمامنا النووي؛ وأجزل مشوبته، وتغمده بإحسانه، وحشرنا معه في مستهل رحمته.

وجزى الله الأستاذ المحقق خيراً، وأكرمه، ووقفه، وأثابه، وجمع عليه شمله.

ووفقني الله لخدمة دينه، ونشر كتب الشريعة الغراء على أحسن ما يكون؛

استعنت بالله، اعتمدت على الله، توكلت على الله، اعتصمت بالله.

(ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) الله اهدنا الصراط المستقيم. آمين.

مدينة حلب / غرة رمضان المبارك سنة 1404 هـ.-

خادم العلم الشريف عبد الغني نكمي [ص 15]

[بستان العارفين للإمام النووي]

@بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

مقدمة المؤلف رحمه الله تعالى

[وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم]

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مقدر الأقدار، مصرف الأمور، مكور الليل على النهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار، الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه، فأدخله في جملة الأخيار، ووفق من اختار من عباده فجعله من الأبرار؛ وبصر من أحبه للحقائق فزهدهم في هذه الدار، فاجتهدوا في مرضاته، والتأهب لدار القرار، واجتناب ما يسخطه والحذر من عذاب النار.

أحمده أبلغ حمد على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله إقراراً بواحدنيته، واعترافاً بما يجب على الخلق كافة من الإذعان لربوبيته. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحبيبه المصطفى من خليقته، وأكرم الأولين والآخرين من بريته، أكرم الخلق، وأزكاهم، [ص 16] وأكملهم، وأعرفهم بالله تعالى وأخشاهم، وأعلمهم به وأتقاهم، أشدهم اجتهاداً وعبادة، وخشية، وزهادة، وأعظمهم خلقاً، وأبلغهم بالمؤمنين تلطفاً ورفقاً؛

صلوات الله وسلامه عليه وعلى النبيين، وآل كلِّ وصحابتهم [أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون].

أما بعد؛ فإن الدنيا دار نفاق لا دار إخلاد، ودار عبور، لا دار حبور، ودار فناء، لا دار بقاء، ودار انصرام، لا دار دوام؛ وقد تطابق على ما ذكرته، دلالات قواطع النقول،

وصائح العقول، وهذا مما استوى في العلم به الخواص والعوام، والأغنياء، والطعام، وقضى به الحس والعيان؛ حتى لم يقبل لوضوحه [إلى] زيادة في العرفان: وليس يصح في الأسماع شيء *** إذا احتاج النهار إلى دليل [ص 17] ولما كانت الدنيا بالحال التي ذكرتها، والعظة التي قدمتها، جاء في "القرآن العزيز" من التحذير من الركون إليها، والاعتزاز بها والاعتماد عليها، ما هو أعرف من أن يذكر، وأشهر من أن يشهر.

وكذلك جاءت الأحاديث النبوية، والآثار الحكمية، فلهذا كان الأيقاظ من أهلها: العباد، وأعقل الناس فيها: الزهاد. [ص 18]

[أحسن ما قيل في وصف الدنيا]

ولقد أحسن القائل في وصفها:

انظر إلى الأطلال كيف تغيرت *** من بعد ساكنها وكيف تنكرت
سحب البلى أذياله برسومه *** فتساقطت أحجارها وتكسرت [ص 19]
ومضت جماعة أهلها لسبيلهم *** وتغيبت أخبارهم وتنكرت
لما نظرت تفكراً لديارهم *** سحت جفوني عبرة وتحذرت
لو كنت أعقل ما أفقت من البكا *** حسبي هناك ومقلتي ما أبصرت
نصبت لنا الدنيا زخارف حُسنها *** مكرأ بنا وخديعة ما فترت
وهي التي لم تحل قط لذائق *** إلا تغير طعمها وتممرت
خداعةً بجمالها إن أقبلت *** فجاعة بزوالها إن أدبرت
وهابةً سلابةً لهباتها *** طلابةً لخراب ما قد عمرت
وإذا بنت أمراً لصاحب ثروة *** نصبت مجانقها عليه فدمرت
وقال آخر:

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره *** فسوف لعمرى عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة *** وإن أقبلت كانت كثيراً همومها [ص 20]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

مقدمة المؤلف رحمه الله تعالى.

بيان ما يشتمل عليه هذا الكتاب:

فإذا علم ما ذكرته، وتقرر ما وصفته، كان حقاً على الإنسان أن يسلك طريق العقلاء، ويذهب مذهب البُصراء، فنسأل الله الكريم، الرؤوف الرحيم أن يمن علينا بذلك ويهدينا [إلى] أرشد المسالك.

وها أنا شارع في جمع كتاب يكون مبيناً لسلوك الطريق التي قدمت، وسبيلاً إلى التخلق بالأخلاق الجميلة التي وصفت.

أذكر فيه - إن شاء الله تعالى - جملاً من نفائس اللطائف، وحقائق المعارف، وأنثر ما أذكره فيه نشرأً، ليكون أبعد لمطالعه عن الملل، وأقرب للذكرى.

ولا ألتزم فيه ترتيبه على الأبواب، فإن ذلك مما يجلب الملل للناظر في الكتاب، وأذكر فيه - إن شاء الله تعالى - من الآيات الكريمت، والأحاديث النبويات، وأقاويل السلف المنيرت، ومستجاء المأثور عن الأخيار، عن عيون الحكايات، والأشعار المستحسنة الزهديات.

وأبين في أكثر الأوقات صحة الأحاديث وحسنها وحال رواتها، وبيان ما يخفى ويُشكل من معانيها، وأضبط ما يحتاج إلى تقييد حذراً من التصحيف وفراراً من التغيير والتحريف. [ص 21]

ثم إنني قد أذكر ما أذكره بإسنادي فيه، لكونه أوقع في نفوس مطالعيه.

وقد أحذف الإسناد للاختصار، وخوفاً من التطويل والإكثار، ولكون هذا الكتاب موضوعاً للمتعبدين. [ومن] ليسوا إلى معرفة الإسناد بمحتاجين؛ بل يكرهونه في معظم الحالات، لما يلحقهم بسببه من السآمات.

وأكثر ما أذكره مما أرويه بحمد الله وفضله بالأسانيد المشهورة، المعروفة من الكتب الظاهرة المتداولة المعروفة.

وإذا كان في الحديث أو الحكاية، لفظة لغة، أو اسم شخص، قيّدتها، وأوضحتها بالضبط المحكم، وأتقنتها، وما احتاج [فيها] إلى شرح شرحته، وما كان مُعَرَّضاً لَأَنْ يُغلط في معناه بينته.

ويندرج في ضمن هذا الكتاب - إن شاء الله تعالى - أنواع في العلوم الشرعية، وجملٌ من لطائفها الحديثية، والفقهية، والآداب الدينية، وطرفٌ من علم (الحديث) ودقائق (الفقه) الخفية. ومهماتٌ من أصول (العقائد)، وعيون من نفائس القواعد، وغرائب لطيفة مما يستحسن في المذكورات ويستحب ذكره في مجالس الجماعات. ومعارف القلوب، وأمراضها. وطبُّها، وعلاجها.

وربما يجيء شيء يحتاج إلى بسط كلام لا يحتمله حال هذا الكتاب، فأذكر مقصوده مختصراً، أو أحيل بسط شرحه إلى كتاب بعض العلماء ذوي البصائر والألباب، وربما أحلته على كتاب صنفته أنا، ولا أقصد [ص 22] بذلك - إن شاء الله تعالى - التبجح والافتخار، ولا إظهار المصنفات والاستكثار؛ بل الإرشاد إلى الخير والإشارة إليه، وبيان مظنته والدلالة عليه.

وإنما نبهت على هذه الدقيقة؛ لأنني رأيت من الناس من يعيب سالك هذه ، وذلك لجهالته وسوء ظنه، وفساده، أو لحسده، وقصوره وعناده.

فأردت أن يتقرر هذا المعنى في ذهن مطالع هذا التصنيف، وليطهر نفسه من الظن الفائد والتعنيف.

وأسأل الله الكريم توفيقى لحسن النيات، والإعانة على جميع أنواع الطاعات، وتيسيرها، والهداية لها دائماً في ازدياد حتى الممات، وأسأله ذلك لجميع من أحبه ويحبني لله تعالى، وسائر المسلمين والمسلمات، وأن يجمع بيننا وبينهم في دار كرامته بأعلى المقامات، وأن يرزقنا رضاه، وسائر وجوه الخيرات؛

ما شاء الله لا قوة إلا بالله، اعتصمتُ بالله، استعنتُ بالله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حسبنا الله ونعم الوكيل.
اللهم إني أسألك بكل وسيلة، وأتشفع إليك بكل شفيع، أن تنفعي وأحبابي والمسلمين أجمعين، بهذا الكتاب نفعاً عاماً بليغاً، يا من لا يُعجزه شيء، ولا يتعاضمه أمرٌ!
وهذا حين شروعي في مقصود الكتاب [ص 23]

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية
قال الله تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة}. معناه: الملة المستقيمة. وقيل: الأمة المستقيمة.
وقيل: القائمة بالحق، والله أعلم.
وقال الله تعالى: {ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله}. [ص 24]

وقال الله تعالى: {ربكم أعلم بما في نفوسكم}.

وقال الله تعالى: {لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم}. [ص 25]
قال ابن عباس رضي الله عنهما؛ معناه: ولكن يناله النيات منكم. وقال إبراهيم:
"التقوى" ما يُراد به وجهه.

وقال الإمام أبو الحسن الواحدي: قال الزجاج؛ المعنى: لن يتقبل الله الدماء واللحوم، إذا كانت من غير تقوى الله تعالى، وإنما يتقبل منكم ما ستتقونه به؛ قال: وهذا دليل على أن شيئاً من العبادات لا يصح إلا بالنية، وهو: أن ينوي به التقرب إلى الله وأداء ما أمر به. [ص 26]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.

[إنما الأعمال بالنيات]

أخبرنا شيخنا الإمام الحافظ أبو البقاء خالد بن يوسف بن سعيد بن الحسن بن المفرج بن بكار المقدسي النابلسي الدمشقي الشافعي رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو اليمن الكندي، أخبرنا محمد بن عبد الباقي الأنصاري، أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا أبو الحسن محمد بن المظفر الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد سليمان الواسطي، حدثنا أبو نعيم عبد بن هشام الحلبي، حدثنا ابن المبارك، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال **رسول الله** صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

هذا حديث متفق على صحته، مجمع على عظم موقعه وجلالته، وهو أحد قواعد الإيمان، وأول دعائمه، وأشد الأركان؛ وهو "حديث" فرد "غريب" باعتبار، مشهور باعتبار آخر، ومداره على يحيى بن سعيد الأنصاري. قال الحافظ: لا يصح هذا الحديث عن النبي إلا من [ص 27] جهة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولا عن عمر، إلا من جهة علقمة، ولا من علقمة إلا من جهة إبراهيم بن محمد التيمي، ولا عن محمد إلا من جهة يحيى بن سعيد، وعن يحيى انتشرت روايته عن أكثر من مائتي إنسان، أكثرهم أئمة، ورواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل "البخاري" -رحمه الله تعالى- في "صحيحه" في سبعة مواضع:

فرواه في أول كتابه، ثم في الإيمان، ثم في النكاح، ثم في العتق، ثم في الهجرة، ثم في ترك الحيل، ثم في النذر.

ثم إن هذا الحديث روي في الصحيح بألفاظ:

"إنما الأعمال بالنيات"، "إنما الأعمال بالنية"، "العمل بالنية".

وأما الذي وقع في أول كتاب الشهاب: "الأعمال بالنيات" بجمع الأعمال والنيات، وحذف "إنما" فقال الحافظ أبو موسى الأصبهاني: لا يصح إسناد هذا.

وأما معنى "النية" فهو القصد وهو عزم القلب.

وإنما: لفظة موضوعة للحصر، تثبت المذكور، وتنفي ما عداه. فمعنى الحديث: لا تصح

الأعمال الشرعية "إلا بالنية". [ص 28]

-ومن قصد بهجرته رضاء الله تعالى ورسوله (فهجرته مقبولة. وأجره واقع على الله تعالى، ومن قصد بها الدنيا في حظه؛ ليس له غيرها! وفي هذا الحديث اشتراط النية في الوضوء [وغيره] والغسل، والتيمم، والصلاة، والزكاة، والصوم، والاعتكاف، والحج وغيرها.

قال إمامنا أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: "يدخل هذا الحديث في سبعين باباً من الفقه";

وقال أيضاً: "يدخل في هذا الحديث ثلث العلم".

وقال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه: "يدخل فيه ثلث العلم". وكذا ذكره أيضاً غيرهما.

قال الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في أول كتابه "مختصر السنن": معنى قول الشافعي رضي الله تعالى عنه: "يدخل فيه ثلث العلم": أن كسب العبد إنما يكون: بقلبه، ولسانه، ونياته.

والنية: أحد أقسام كسبه، وهي أرجحها؛ لأنها تكون عبادة بانفرادها، بخلاف القسمين الآخرين؛ ولأن القول والعمل يدخلهما الفساد بالرياء، ولا يدخل النية. [ص 29]

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.

[ما استحبه العلماء]

واستحب العلماء -رضي الله عنهم- أن تُستفتح المصنفات بهذا "الحديث"؛ وممن ابتدأ به في أول كتابه: الإمام أبو عبد الله "البخاري" - رحمه الله تعالى - في أول حديثه في "صحيحه" الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

-ورؤينا عن الإمام أبي سعيد عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى قال: لو صنفت كتاباً بدأت في أول كل باب منه بهذا الحديث.

-ورؤينا عنه -أيضاً- قال: من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث.

-ورؤينا عن الإمام أبي سليمان أحمد بن إبراهيم الخطابي رحمه الله، فيما قرأته في أول كتابه "الإعلام" في شرح "صحيح البخاري" قال: كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديم حديث: [إنما] الأعمال بالنية، أمام كل شيء يُنشأ ويُبتدأ من أمور الدين؛ لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها.

-وبلغنا عن جماعات من السلف رضي الله تعالى عنهم أشياء كثيرة من نحو هذا من الاهتمام بهذا "الحديث" والله أعلم.

-وفي إسناده شيء يستحسن، ويستغرب عند المحدثين، وهو: أن رواه اجتمع فيهم ثلاثة تابعيون يروي بعضهم عن بعض، وهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن إبراهيم

التميمي، وعلقمة بن وقاص الليثي رضي الله تعالى عنهم. [ص 30]

-وهذا وإن كان "مستظرفاً" فهو كثير في الأحاديث المستظرفة "الصحيحة" يجتمع ثلاثة "تابعيون" بعضهم عن بعض، وقد رويت أحاديث رباعيات أربعة "صحابيون" بعضهم عن

بعض، وأربعة "تابعيون" بعضهم عن بعض.

-وقد جمعها الحافظ عبد القادر الرهاوي رحمه الله تعالى في جزء صنفه فيها، وأنا أرويهما وقد اختصرتها في أول شرح "صحيح البخاري" - رحمه الله تعالى - وضمت إليها ما وجدته مثلها، فبلغ مجموعها زيادة على ثلاثين حديثاً والله أعلم.

-ومما ينبغي الاعتناء به بيان الأحاديث التي قيل: إنها أصول الإسلام، وأصول الدين؛ أو عليها مدار الإسلام، أو مدار الفقه والعلم. فنذكرها في هذا الموضوع؛ لأن أحدها حديث " [إنما] الأعمال بالنية"، ولأنها مهمة فينبغي أن تقدم.

-وقد اختلف العلماء في عددها اختلافاً كثيراً. وقد اجتهد في جمعها وتبيينها الشيخ الإمام الحافظ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بـ "ابن صلاح" -رحمه الله تعالى- ولا مزيد على تحقيقه وإتقانه.

فأنا أنقل ما ذكره -رحمه الله تعالى- مختصراً، وأضم إليه ما تيسر مما لم يذكره؛ فإن الدين النصيحة.

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.

[إضافة الكلمة إلى قائلها]

-ومن "النصيحة" أن تضاف الفائدة التي تُستغرب إلى قائلها؛ فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله، ومن أنف من ذلك، وأوهم فيما يأخذه من كلام غيره أنه له، فهو جدير أن لا يُنتفع بعلمه، ولا يُبارك له في حاله. [ص 31]

-ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها، نسأل الله تعالى التوفيق لذلك دائماً.

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحصار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.

[الأحاديث التي عليها مدار الإسلام]

قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله تعالى بعد أن حكم أقوال الأئمة في تعيين "الأحاديث" التي عليها مدار الإسلام، واختلافهم في أعيانها وعددها فبلغت ستة وعشرين حديثاً: [النية] - "أحدها" حديث: (إنما الأعمال بالنيات).

[البدع والأهواء] - "الثاني" عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال **رسول الله** صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). هذا حديث متفق على صحته، رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما. وفي رواية لمسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا...).

ومعنى رد: مردود، كالخلق بمعنى المخلوق. [ص 32]

[ظهور الحلال والحرام] - "الثالث" عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت **رسول الله** صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن [ص 33] كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام؛ كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه: ألا وإن لكل مَلِكٍ حمى، ألا وإن حمى الله محارمهُ، ألا وإن في الجسد مُضْغَةً، إذا صلّحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب).

هذا حديث متفق على صحته، رويناها في "صحيحيهما".

يوشك: بضم الياء وكسر الشين المعجمة، أي يسرع. [ص 34]

[جمع الخلق] - "الرابع" عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: حدثنا **رسول الله** وهو الصادق المصدوق:

(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها؛ وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ..) "رواه البخاري ومسلم في صحيحهما".

قوله: "بكتب" بالباء الموحدة الجارة. [ص 36]

[ترك الريب] - "الخامس" عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من **رسول الله** صلى الله عليه وسلم: [ص 37] (دع ما يريبك إلا ما لا يريبك).
"حديث صحيح رواه أبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النسائي". قال [أبو عيسى] الترمذي: حديث صحيح.

وقوله: "يريبك" بفتح أوله وضمه لغتان؛ الفتح أشهر. [ص 38]

[من حسن إسلام المرء] - "السادس" عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال **رسول الله** صلى الله عليه وسلم:
(من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه).

"حديث حسن" رواه الترمذي وابن ماجه. [ص 39]

[الحب والإيمان] - "السابع" عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).
"متفق على صحته".

[إن الله طيب] - "الثامن" عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال **رسول الله** صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس! إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، [ص 40] فقال تعالى: {يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم}. وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كلوا

من طبيبات ما رزقناكم}. ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنتي يُستجاب لذلك!).

رواه مسلم في صحيحه. [ص 41]

[لا ضرر ولا ضرار] - "التاسع" حديث: "لا ضرر ولا ضرار".

رواه مالك مرسلًا، ورواه الدارقطني، وجماعة، من وجوه متصلًا وهو: "حديث حسن".

[ص 42]

[الدين النصيحة] - "العاشر" عن تميم الداري رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

[ص 43] (الدين النصيحة قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم).

رواه مسلم.

[الأمر والنهي] - "الحادي عشر" عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [ص 44] (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم؛ فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم). متفق على صحته.

[حب الله والناس] - "الثاني عشر" عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبنى الناس! فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس).

"حديث حسن" رواه ابن ماجه. [ص 45]

[متى يستحل الدم] - "الثالث عشر" عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني

رسول الله؛ إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزان، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة).

"متفق على صحته". [ص 47]

[متى يقاتل الناس؟] - "الرابع عشر" عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن **رسول الله** صلى الله عليه وسلم قال:

"أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً **رسول الله**، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى).

"متفق على صحته". [ص 48]

[بني الإسلام على خمس] - "الخامس عشر" عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال **رسول الله** صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً **رسول الله**، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان).

"متفق على صحته". [ص 49]

[البينة واليمين] - "السادس عشر" عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن **رسول الله** صلى الله عليه وسلم قال: (لو يعطى الناس بدعواهم، لادعى رجال أموال قوم ودماءهم لكن، البينة على المدعي، واليمين على من أنكر).

حديث حسن [رواه البيهقي] بهذا اللفظ، وبعضه في الصحيحين. [ص 50]

[البر والإثم] - "السابع عشر" عن وابصة بن معبد رضي الله تعالى عنه، أنه أتى **رسول الله** صلى الله عليه وسلم فقال له: "جئت تسأل عن البر والإثم؟ قال: قلت: نعم! قال: استفت قلبك! البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، [ص 51] والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك".

وفي رواية: "وإن أفتاك المفتون".

"حديث حسن" رواه أحمد بن حنبل، والدارمي وغيرهما. [ص 52]

وفي " صحيح مسلم " من رواية النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس). [ص 53]

[كتب الإحسان على كل شيء] - "الثامن عشر" عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه، عن **رسول الله** صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته).
"رواه مسلم".

والقتلة والذبحة: بكسر أولهما. [ص 54]

[الإيمان بالله واليوم الآخر] - "التاسع عشر" عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن **رسول الله** صلى الله عليه وسلم قال: [ص 55] (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه).
"متفق على صحته". [ص 56]

[احذر الغضب] - "العشرون" عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: [ص 57] (أوصني! قال: لا تغضب! فردد مراراً، قال: لا تغضب).

"رواه البخاري في صحيحه". [ص 58]

[إن الله فرض فرائض] - "الحادي والعشرون" عن أبي ثعلبة رضي الله تعالى عنه، عن **رسول الله** صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها).

"رواه الدارقطني بإسناد حسن". [ص 59]

[اتق الله حيثما كنت] - "الثاني والعشرون" عن أبي ذر ومعاذ رضي الله تعالى عنهما
عن **رسول الله** صلى الله عليه وسلم قال: [ص 60] (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة
الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن).

رواه الترمذي وقال: "حديث حسن".

وفي بعض نسخه المعتمدة [حديث] "حسن صحيح". [ص 61]

[سؤال عن عظيم] - "الثالث والعشرون" عن معاذ رضي الله تعالى عنه قال: قلت يا
رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار؟ قال: (لقد سألت عن
عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم
الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت؛ ثم قال: "ألا أدلك على أبواب
الخير! الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في
جوف الليل"، ثم تلا: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى بلغ: (يعملون) ثم قال: "ألا
أخبرك برأس الأمر وعموده، وذروة سنامه؟" قلت: بلى يا **رسول الله**! قال: "رأس الأمر
الإسلام، وعموده الصلاة وذروة [ص 62] سنامه الجهاد". ثم قال: "ألا أخبرك بملاك
ذلك كله؟" قلت: بلى يا **رسول الله**! قال: فأخذ بلسانه وقال: "كف عليك هذا!" فقلت:
يا نبي الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: "ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار
على وجوههم، أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم".

رواه الترمذي وقال: "حديث حسن صحيح".

ذروة السنام: أعلاه وهي بضم الذال وكسرهما. [ص 63]

[موعظته عليه الصلاة والسلام] - "الرابع والعشرون" عن العرياض بن سارية قال:
وعظنا **رسول الله** صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون
فقلنا: يا **رسول الله**! كأنها موعظة مودع فأوصنا! قال: [ص 64]

(أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم
فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء [من بعدي] الراشدين المهديين،
عضوا عليها بالنواجذ! وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة).

رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. [ص 65]
[حديث ابن عباس ووصيته له] - "الخامس والعشرون" عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: [ص 66]
(يا غلام إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت
فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم بأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك
بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم
يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك؛ رفعت الأقلام وجفت الصحف).

رواه الترمذي وقال: حديث "حسن صحيح".
وفي رواية غير الترمذي:
(احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما
أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك). [وفي آخره] (واعلم أن النصر
مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً). [ص 67]
[الإسلام والإحسان] - "السادس والعشرون" حديث ابن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنهما في الإيمان بالقدر، وبيان الإيمان والإسلام والإحسان، وبيان
علامات [يوم] القيامة.

-فهذه الأحاديث التي ذكرها الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى ومما هو في
معناها: "أحدهما" وهو:

[الإيمان والاستقامة] - "السابع والعشرون" عن سفيان بن عبد الله رضي الله تعالى
عنه قال: قلت يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك؟ قال:
(قل آمنت بالله ثم استقم).

"رواه مسلم". [ص 68]

[الحياء] - "الثامن والعشرون" عن أبي مسعود البدر بن عقبة بن عمرو رضي الله عنه
قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا لم تستح فاصنع ما شئت).

"رواه البخاري في صحيحه". [ص 69]

[سؤال الأعرابي] - "التاسع والعشرون" عن جابر رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: [ص 70] (أرأيت إذا صليت الصلوات [الخمسة] المكتوبات، وصمت رمضان وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئاً أَدْخَلَ الجنة؟ قال: نعم).
"رواه مسلم". [ص 71]

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.
فصل في حقيقة الإخلاص والصدق.

فصل في حقيقة الإخلاص والصدق

وأما الإخلاص، فقال الله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية.
[ص 72]

[و] روينا عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإخلاص ما هو؟ فقال: (سألت جبريل عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سر من أسراري أودعته قلب من أحب من عبادي). [ص 73]

[كلام الصوفية في ذلك] وروينا عن الأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى قال: الإخلاص، أفراد الحق في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من التصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو منحة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى.

-قال: ويصح أن يقال: الإخلاص، تصفية الفعل عن مخالطة المخلوقات.

-قال: ويصح أن يقال: الإخلاص، التوقي عن ملاحظة الأشخاص.

-وروينا عن الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله تعالى قال: الإخلاص التوقي عن ملاحظة الخلق؛ والصدق التنقي عن مطالعة النفس.

-فالمخلص: لا رياء له؛ والصادق: لا إعجاب له.

-وروينا عن أبي يعقوب السوسي رضي الله عنه قال: متى شهدوا في إخلاصهم الإخلاص، احتاج إخلاصهم إلى إخلاص!

-وروينا عن السيد الجليل ذي النون رضي الله تعالى عنه قال: ثلاث من علامات الإخلاص:

(1) استواء المدح والذم من العامة.

(2) ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال.

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.

فصل في حقيقة الإخلاص والصدق.

وجدت الكلمات في الفص

3-واققتضاء ثواب العمل في الآخرة. [ص 74]

-وعن أبي عثمان المغربي رحمه الله تعالى قاله: "الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق".

-وعن حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى فقال: "الإخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن".

-وعن السيد الجليل فضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: "ترك العمل لأجل الناس رياء! والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما".

-وعن السيد الجليل أبي محمد سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى أنه سئل [عن] أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص، لأنه شيء ليس له في نصيب.

-وعن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى قال: أعز شيء في الدنيا؛ الإخلاص.
-وعن أبي عثمان المغربي رحمه الله تعالى قال: "إخلاص العوام ما لا يكون للنفس فيه
حظ، وإخلاص الخواص ما يجري عليهم لا بهم، فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل،
ولا تقع لهم عليه رؤية، ولا لهم عليها اعتداد.
-وروينا عن السيد الجليل الإمام التابعي مكحول رضي الله عنه قال: ما أخلص عبد قط
أربعين [يوماً] إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه.
-وروينا عن سهل التستري رحمه الله تعالى قال: من زهد في الدنيا أربعين يوماً، صادقاً
مخلصاً من قلبه في ذلك، ظهرت له الكرمات؛ ومن لم تظهر له فإنه عدم الصدق في
زهده!. [ص 75]

-فليل لسهل: كيف تظهر له الكرمات؟ قال: يأخذ ما يشاء، كما يشاء، من حيث يشاء.
-قال سهل التستري رحمه الله تعالى: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير
هذا: أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده، لا يمازجه شيء، لا
نفس، ولا هوى، ولا دنيا.

-وقال السري رحمه الله تعالى: "لا تعمل للناس شيئاً، ولا تترك لهم شيئاً، ولا تعطي
لهم شيئاً، ولا تكشف لهم شيئاً".

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.
فصل في حقيقة الإخلاص والصدق.

[الصدق] وأما الصدق، فقال الله تعالى: [ص 76] {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين}.

ورويانا عن الأستاذ القشيري رحمه الله قال: الصدق عماد الأمر، وبه تمامه، وفيه نظامه؛
[ص 77]

قال: وأقل الصدق استواء السر والعلانية.

-ورويانا عن "سهل" رحمه الله تعالى قال: "لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره".

-ورويانا عن ذي النون رحمه الله أنه قال: الصدق سيف الله، وما وضع على شيء إلا قطعه.

-ورويانا عن السيد الجليل الإمام العارف الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى قال: الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه؛ ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله؛ ولا يكره أن يطلع الناس على السيء من عمله، فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم؛ وليس هذا من إخلاص الصديقين!

-وقيل: إذا طلبت من الله تعالى الصدق، أعطاك مرآة تبصر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة.

-ورويانا عن السيد الجليل أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه قال: "الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة". والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة!".

قلت: معناه أن الصادق يدور مع الحق كيف كان؛ فإذا رأى الفضل الشرعي في أمر عمل به، وإن خالف ما كانت عليه عادته، وإذا عرض أهم منه في الشرع ولا يمكن الجمع بينهما، انتقل إلى الأفضل، ولا يزال هكذا، وربما كان في اليوم الواحد على مائة حال، أو ألف أو أكثر، على حسب تمكنه في المعارف وظهور الدقائق له واللطائف. [ص 78]
وأما المرائي: فيلزم حالة واحدة بحيث لو عرض له مهم يرجحه الشرع عليها في بعض الأحوال لم يأت بهذا المهم؛ بل يحافظ على حالته لأنه يراعي بعبادته وحاله المخلوقين، فيخاف من التغيير ذهاب محبتهم إياه فيحافظ على بقائها!

-والصادق يريد بعبادته وجه الله تعالى، فحيث رجع الشرع حالاً صار إليه، ولا يعرج على المخلوقين.

-وقد بسطت القول في شرح هذه الحكاية في أول شرح المهذب، وذكرت دلائلها، وأوضحتها بالأمثلة، ومقصودها ما ذكرته هنا. فاقترنت عليه، والله أعلم.

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.

فصل [في إحضار النية في الطاعات].

فصل [في إحضار النية في الطاعات]

اعلم أنه ينبغي لمن أراد شيئاً من الطاعات، وإن قل أن يحضر النية وهو: أن يقصد بعمله رضا الله عز وجل، وتكون نيته حال العمل.

ويدخل في هذا جميع العبادات من الصلاة والصوم، والوضوء، والتميم، والاعتكاف، والحج، والزكاة، والصدقة، وقضاء الحوائج، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وابتداء السلام، ورده، وتشميت العاطس، وإنكار المنكر، والأمر بالمعروف، وإجابة الدعوة، وحضور مجالس العلم والأذكار، وزيارة الأبيار، والنفقة على الأهل، والضياف وإكرام أهل الود، وذوي الأرحام، ومذاكرة العلم، والمناظرة فيه، [ص 79] وتكراره، وتدريسه، وتعليمه، ومطالعه، وكتاباته، وتصنيفه، والفتاوى، وكذلك ما أشبه هذه الأعمال، حتى ينبغي له إذا أكل، أو شرب، أو نام، أن يقصد بذلك التقوي على طاعة الله، أو راحة البدن، للتنشط للطاعة.

-وكذلك إذا أراد جماع زوجته، يقصد إيصالها حقها، وتحصل ولد صالح، يعبد الله تعالى، وإعفاف نفسه، وصيانتها من التطلع إلى حرام، والفكر فيه.

-فمن حرم النية في هذه الأعمال، فقد حرم خيراً عظيماً [كثيراً]، ومن وفق لها، فقد أعطي فضلاً جسيماً. فنسأل الله الكريم التوفيق لذلك؛ وسائر وجوه الخير! -ودلائل هذه القاعدة ما قدمناه من قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى).

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.

فصل [في إحضار النية في الطاعات].

[أقوال العلماء في النية]

-قال العلماء من أهل اللغة والأصول والفقهاء:

"إنما" للحرص تفيد تحصيل المذكور ونفي ما سواه، وقد قدمنا هذا في أول الباب، وقد قالوا: الأعمال البهيمية ما عملت بغير نية، وروينا عن الإمام الجليل المتفق على إمامته وجلالته وعظم محله وسيادته أبي يحيى حبيب عندهم رحمه الله قيل له: حدثنا [عن أشق شيء؟]

قال: "حتى تجيء النية". [ص 80]

وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: "ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي!". وعن يزيد بن هارون رحمه الله تعالى قال: "ما عزت النية في الحديث إلا لشرفها". وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: "إنما يحفظ الرجل على قدر نيته". وعن غيره: إنما يعطى الناس على قدر نياتهم.

وعن الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه بالإسناد الصحيح أنه قال: "وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على أن لا ينسب إلي حرف منه".

وقال الشافعي رضي الله عنه أيضاً: "ما ناظرت أحداً قط، على الغلبة، وودت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه". [ص 81]
وقال أيضاً: "ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ، ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ".

وقال الإمام أبو يوسف، صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى: "أريدوا بعلمكم الله تعالى، فإنني لم أجلس مجلساً قط، أنوي فيه أن أتواضع، إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلساً أنوي فيه أن أعلوهم، إلا لم أقم حتى أفتضح!".

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.

فصل [في كتب الحسنات والسيئات].

فصل [في كتب الحسنات والسيئات]

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن **رسول الله** صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة). [ص 82]

وثبت في الصحيح أن **رسول الله** صلى الله عليه وسلم قال في الجيش الذين يقصدون الكعبة: "يخسف بأولهم وآخرهم".

-فقالت عائشة رضي الله عنها: يا **رسول الله**! كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أشرف، ومن ليس منهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم". [ص 83]

وثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية". [ص 84]
-قلت: اختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء في معنى: "لا هجرة بعد الفتح" ف قيل: معناه لا هجرة من مكة؛ إذا صارت دار إسلام. وقيل: لا هجرة بعد الفتح كاملة الفضل، كالتي قبل الفتح. [ص 85]

وأما الهجرة من دار الكفار اليوم فواجبة وجوباً متأكداً على من قدر عليها، إذا لم يقدر من إظهار دين الإسلام هناك، فإن قدر استحباب ولا يجب، والله تعالى أعلم.
-ورؤينا عن السيد الجليل أبي ميسرة عمر بن شرحبيل التابعي الكوفي الهمداني - بإسكان الميم وبالبدال المهملة - رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا أخذ عطاءه تصدق منه، فإذا جاء إلى أهله فعدوه وجدوه سواء؛ فقال لابن أخيه: ألا تفعلون مثل هذا؟! فقالوا: لو علمنا أنه لا ينقص لفعلنا!.

-قال أبو ميسرة: إنني لست أشترط هذا على ربي عز وجل.
وقال إمامنا أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه: خير الدنيا والآخرة في خمس خصال:

(1) غنى النفس،

(2) وكف الأذى،

(3) كسب الحلال،

(4) ولباس التقوى،

(5) والثقة بالله عز وجل على كل حال.

-ورؤينا عن السيد الجليل حماد بن سلمة رحمه الله تعالى وكان يُعد من الأبدال، قال: "من طلب الحديث لغير الله تعالى مكر به". [ص 86]

وقال أحمد بن أبي الحواري السيد الجليل في كتاب الزهد الذي صنفه، وسترى ما أنقل من النفائس - إن شاء الله - ولم يحصل إلي الآن إسناده؛ ولكن عندي منه نسخة جيدة

متقنة، ذكر لي بعض أهل العلم والخبرة أنها بخط الدارقطني رحمه الله تعالى. [ص 87]

قال أحمد: حدثنا إسحاق بن خلف قال: حدثنا حفص بن غياث قال: "كان عبد الرحمن بن الأسود رضي الله عنه لا يأكل الخبز إلا بنية".

-قلت لإسحاق: وأي شيء النية في أكل الخبز؟ قال: كان يأكل فإذا ثقل عن الصلاة خفف ليخف بها؛ فإذا خف ضعف فأكل ليقوى فكان أكله لها، وتركه لها.

قلت: معنى يخف: أي ينشط وتسهل عليه ويتلذذ بها.

وأحمد بن أبي الحواري يقال: بفتح الراء وبكسرهما، والكسر أشهر، والفتح سمعته مرات من شيخنا الحافظ أبي البقاء يحكيه عن أهل الإتيقان أو عن بعضهم والله تعالى أعلم.

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان -يعني- الداراني رحمه الله تعالى يقول: "عاملوا الله بقلوبكم". قلت: معناه طهروا قلوبكم وصفوها، وهذبوها، ولا تخلوا بشيء من الأعمال الظاهرة.

"الداراني" يقال: بالنون بعد الألف الثانية، ويقال: بهمزة بدل النون؛ وهو بالنون أشهر والوجهان فيه ذكرهما أبو سعيد السمعي في الأنساب، لكن النون أشهر وأكثر استعمالاً؛ والهمز أقرب إلى الأصل.

وهو منسوب إلى داريا؛ القرية الكبيرة النفيسة بجانب دمشق. [ص 88]

وكان أبو سليمان من كبار العارفين، وأصحاب الكرامات الظاهرة، والأحوال الباهرة، والحكم المتظاهرة،

واسمه: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية.

وسيمر بك -إن شاء الله تعالى- جمل ما أنقله عنه من النفاثس، وهو أحد متأخري بلادنا دمشق وما حولها رضي الله تعالى عنه. ونسبه ما قاله: أبو سليمان، ما روينا عن السيد الجليل أبي علي الفضيل بن عياض رضي الله عنه. قال: "ما أدرك ما عندنا من أدرك! بكثرة صلاة، ولا صوم؛ ولكن بسخاء النفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة".

وقال إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه: "من أراد أن يقضيَ الله تعالى له بالخير فليحسن الظن بالناس". [ص 89]

أخبرنا شيخنا الإمام أبو البقاء بقراءتي عليه، قال: أخبرنا الحافظ عبد الغني إجازة، أخبرنا أبو طاهر السلفي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الدوني، قال: سمعت أبا الحسن علي بن محمد الأسد أبادي، أخبرنا: علي بن الحسين بن علي، أخبرنا: أبو منصور يحيى بن أحمد المروزي، قال: سمعت أبا العباس أحمد بن منصور، قال: سمعت أبا طاهر محمد بن الحسين بن ميمون يقول: سمعت أبا موسى هارون بن موسى يقول: قال أبو حاتم محمد بن إدريس: سمعت [أبا] قبيصة يقول: رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال:

نظرتُ إلى ربي كِفاحاً فقال لي *** هنيئاً رضائي عنك يا ابنَ سعيد
لقد كُنْتُ قَوَّاماً إِذَا أَظْلَمَ الدُّجَا *** بَعْبَرَةٌ مُشْتَاقٍ وَقَلْبٍ عَمِيد
فدونك فاخترَ أَيَّ قَصْرٍ أَرَدْتَهُ *** وَزُرْنِي فَإِنِّي مِنْكَ غَيْرُ بَعِيد
[ضبط اسم الدوني والسلفي]

قلت: "السلفي" بكسر السين المهملة وفتح اللام، منسوب إلى جد له يقال له: سلفة. كان هذا الجد مشقوق الشفة، فقلب بالفارسية سبه لفة بكسر السين وفتح اللام، أي: ذو ثلاث شفاه، ثم عُرِّبَت فقييل: سلفة. وكان أبو طاهر السلفي أحد حفَّاظ عصره. [ص 90] وأما "الدُّوني" بضم الدال وإسكان الواو، فمنسوب إلى الدون: قرية بخراسان من أعمال الدينور.

وأما "الأسد أبادي": فمنسوب للأسد أباد بليدة على مرحلة من همدان إذا توجهت إلى العراق.

وأما "الثوري": فمنسوب إلى بثي ثور بن عبد مناف بن أد بن طابخة بن إلياس، بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

[شرح الكلمات]

-وأما قوله "نظرت إلى ربي كفاحاً": فهو بكسر الكاف، ومعناه: معاينة بغير حجاب ولا رسول.

وقوله: "إذا أظلم الدجا" هو الظلام.

وقوله: "عميد" أي محب صادق الحب لله.

قال أهل اللغة: العميد القلب الذي هزه العشق. [ص 91]

أخبرنا شيخنا: الإمام الحافظ أبو البقاء رحمه الله تعالى:

أخبرنا [أبو] محمد بن عبد العزيز بن معالي، أخبرنا القاضي أبو بكر الخطيب، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، حدثنا الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب: أخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس، أخبرنا محمد بن أحمد الوراق، قال: سمعت عبد الله ابن سهل الرازي يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي رضي الله تعالى عنه يقول: كم من مستغفر ممقوت. وسأكت مرحوم! [يقول] هذا: أستغفر الله، وقلبه فاجر! وهذا ساكت، وقلبه ذاكر.

-وبالإسناد إلى الخطيب قال: حدثنا أبو الحسن الواعظ، قال: سمعت أبا عبد الله بن

عطا الروذباري رحمه الله يقول: "من خرج إلى العلم يريد العمل به نفعه قليل العلم".

وبهذا الإسناد قال أبو عبد الله بن عطاء: العلم موقوف على العمل به، والعمل موقوف على الإخلاص، والإخلاص لله تعالى يورث الفهم عن الله تعالى.

قلت: يعني العلم النافع المطلوب، كما قال إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه:

"ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع". [ص 92]

-وأخبرنا شيخنا أبو البقاء، أخبرنا أبو محمد، أخبرنا أبو بكر، أخبرنا الخطيب، أخبرنا

علي بن محمود الصوفي، أخبرنا عبد الوهاب بن الحسن الكلابي، حدثنا سعيد بن عبد

العزیز الحلبي قال: سمعت قاسما الجوعي رضي الله تعالى عنه يقول: "أصل الدين

الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طريق الجنة سلامة الصدر".

قلت: "الجُوعي" بضم الجيم وإسكان الواو.

قال الإمام الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الأنساب: قاسم الجوعي هذا، له كرامات؛ منسوب إلى الجوع. قال: ولعله كان يبقى جائعاً كثيراً. -وأخبرنا شيخنا أبو البقاء، أخبرنا أبو محمد، أخبرنا أبو بكر. أخبرنا الخطيب، أخبرنا أحمد بن الحسين بن السماك قال: سمعت أبا بكر الدقي قال: سمعت أبا بكر الزقاق رضي الله عنه يقول: بني أمرنا هذا على أربع:

(1) لا نأكل إلا عن فاقة.

(2) ولا ننام إلا عن غلبة.

(3) ولا نسكت إلى عن خيفة.

(4) ولا نتكلم إلا عن وجد. [ص 93]

[ضبط اسم الدقي والزقاق]

قلت: "الدُّقِّي" بضم الدال وكسر القاف المشددة، وهو من كبار الصوفية وأهل المعارف والكرامات، توفي بدمشق في جمادى الأولى سنة ستين وثلاثمائة. وأما "الزَّقَاق" فبفتح الزاي، وتشديد القاف. قال السمعاني: هو نسبة إلى الزق وعمله وبيعه.

-كان أبو بكر الزقاق هذا من كبار الصوفية أصحاب الكرامات الظاهرات، والمعارف المتظاهرات.

وبهذا الإسناد إلى الزقاق قال: كل أحد ينسب إلى نسب إلا الفقراء، فإنهم ينسبون إلى الله عز وجل.

وكل حسب ونسب ينقطع، إلا حسبهم ونسبهم، فإن نسبهم الصدق، وحسبهم الفقر. [ص 94]

وبلغنا عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه فيما رواه البيهقي - رحمه الله - بإسناده عن يونس بن عبد الله، وقيل: ابن عبد الأعلى قال: قال الشافعي رضي الله

تعالى عنه: "يا أبا موسى! لو اجتهدت كلَّ الجهد، على أن ترضي الناس كلهم فلا سبيل إليه، فإن كان كذلك، فأخلص عملك ونيتك لله عز وجل".

وأخبرنا شيخنا أبو البقاء أخبرنا أبو محمد أخبرنا أبو بكر أخبرنا الخطيب أخبرنا أحمد بن الحسين الواعظ قال: سمعت أبا بكر الطرسوسي يقول: سمعت [أبا بكر] إبراهيم بن شيبان يقول: سمعت أبا عبد الله المغربي يقول: [ص 95] صوفي بلا صدق، الرُّوزْجار أحسن منه".

قلت: هو "براء مضمومة، ثم واو ساكنة، ثم زاي، ثم جيم ثم ألف، ثم راء". وهو الذي يعمل في الطين بالمجرفة ونجوها.

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.

فصل [في كتب الحسنات والسيئات].

[كتاب محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة]

وروينا بأسانيد متعددة، عن مقاتل بن صالح الخراساني قال: دخلت على حماد بن سلمة رضي الله تعالى عنه، فإذا ليس في البيت إلى حصير" وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه، وجراب فيه علمه، ومطهرة يتوضأ فيها! فبينما أنا عنده جالس إذ دق داق الباب، فقال: يا صبية اخرجي فانظري! من هذا قال: هذا رسول محمد بن سليمان!

-قال: قولي له: يدخل وحده؛ فدخل فسلم وناولته كتاباً، [ص 96]

فقال: اقرأه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة، أما بعد فصبحك الله بما صبح به أوليائه وأهل طاعته، وقعت مسألة فإننا نسألك عنها؟

-فقال: يا صبية هلمي بالدواة! ثم قال: اكتب في ظهر الكتاب!

-أما بعد؛ وأنت صبحك الله بما صبح به أوليائه، وأهل طاعته. أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً، فإن وقعت مسألة فائتنا! فتسألنا عما بدا لك، وإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك، ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك، ولا أنصح نفسي والسلام!
-فبينما أنا عنده جالس! إذ دق داق الباب، فقال: يا صبية أخرجي فانظري من هذا؟
فقالت: محمد بن سليمان!

قال: قولي له يدخل وحده قال: فدخل فسلم ثم جلس بين يديه فقال: مالي إذا نظرت إليك امتلأت رعباً؟! فقال حماد: سمعت ثابتاً - يعني البناني - يقول: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "العالم إذا أراد بعمله وجه الله تعالى هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكثر به الكنوز، هاب من كل شيء!".

فقال: ما تقول -يرحمك الله- في رجل له ابنان، وهو عن أحدهما أرضى، فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله؟ فقال: لا! ويرحمك الله، فإني سمعت ثابتاً البناني يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله عز وجل إذا أراد أن يعذب عبداً بماله وفقه عند موته لوصية جائزة". [ص 97]

قال: فحاجة؟ قال: هات! ما لم تكن رزية في دين! قال: أربعين ألف درهم فتأخذها فتستعين بها على ما أنت عليه.

قال: ارددها على من ظلمته بها!

قال: والله ما أعطيتك إلا ما ورثته!

قال: لا حاجة لي فيها، ازوها عني! زوى الله عنك أوزارك!

قال: فغير هذا؟ قال: هات ما لم يكن رزية في دين الله".

قال: تأخذها فتقسمها!

قال: فلعلي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من لم يرزق منها، إنه لم يعدل في

قسمتها فيأثم! أزورها عني زوى الله عنك أوزارك!. [ص 98]

قلت: ما أحسن هذه الحكاية! وما أحسن فوائدها! وما جمعت من النفائس والتنبيه على قواعد مهمة، وهي بارزة لا تحتاج إلى التنصيص عليها، ولكن فيها أحرف من اللغة نضبها، وإن كانت معروفة صيانة لها،

فقوله: "ومُصْحَف يقرأ" يقال: مصحف بضم الميم، وكسرهما. وفتحها ثلاث لغات، الضم أفصح، وقد أوضححتها وبينت أصولها واشتقاقها في كتاب "تهذيب الأسماء واللغات".
وقوله: "جَرَاب" بكسر الجيم وفتحها لغتان، والمِطْهَرَة: هي بكسر الميم وفتحها لغتان، وهي كالإبريق والركوة وغيرهما مما يتطهر به.

وقوله: "هلمي" بمعنى أعطيني، وهذه إحدى اللغتين، والأخرى "هلم" للرجل والمرأة، والمثنى والمجموع، وهي أفصح، وبها جاء القرآن، قال الله عز وجل: "هلم شهداءكم" و "هلم إلينا".

وقوله: "هات" هو: بكسر التاء بلا خلاف. [ص 99]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية.

فصل [في كتب الحسنات والسيئات].

[حماد بن سلمة]

أخبرنا شيخنا الحافظ أبو البقاء بقراءتي عليه، أخبرنا الحافظ عبد الغني إجازة، أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد، أخبرنا الحسين بن صفوان، حدثنا عبد الله بن محمد أبو عبد الله التميمي، عن أبيه قال: رأيت حماد بن سلمة في النوم فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: خيراً! قلت: ماذا قال؟ قال لي: طالما كددت نفسك! فالיום أطيل راحتك وراحة المتعوبين من أجلي، بخ بخ ماذا أعددت لهم؟! [ص 101]

باب في نفائس مأثورة

وروينا في صحيح البخاري رحمه الله قال: قال عمار رضي الله تعالى عنه في هذه الكلمات:

ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان:

(1) الإنصاف من نفسك.

(2) وبذل السلام للعالم.

(3) والإنفاق في الإقتار.

قلت: قد جمع - رضي الله تعالى عنه - في هذه الكلمات خيرات الآخرة والدنيا. وعلى هذه الثلاث مدار الإسلام، لأن من أنصف من نفسه فيما لله تعالى، وللخلق عليه، ولنفسه - من نصيحتها، أو صيانتها - فقد بلغ الغاية في الطاعة.

وقوله: بذل السلام للعالم هو: "بفتح اللام" [يعني الناس، وعدم التكبر عليهم، أي الارتفاع فوقهم] يعني الناس كلهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف". [ص 102]

وهذه من أعظم مكارم الأخلاق، وهو متضمن للسلامة من العدوات والأحقاد، واحتقار الناس والتكبر عليهم، والارتفاع فوقهم، وأما "الإنفاق في الإقتار": فهو الغاية في الكرم! وقد مدح الله سبحانه وتعالى على ذلك،

فقال تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة). وهذا عام في نفقة الرجل على عياله وضيافته، والسائل منه، وكل نفقة في طاعة الله عز وجل؛ وهو:

(1) متضمن للتوكل على الله تعالى، والاعتماد على سعة فضله، والثقة بضمان الرزق.

(2) ويتضمن - أيضاً - الزهد في الدنيا، وعدم ادخار متاعها، وترك الاهتمام بشأنها، والتفاخر والتكاثر بها.

(3) ويتضمن غير ما ذكرته من الخيرات، لكنني أوثر في هذا الكتاب الاختصار البليغ خوفاً من الملل.

وقد روينا هذه الكلمات في "شرح السنة" للبخاري، عن عمار رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

وروينا في "صحيح مسلم" رحمه الله تعالى قال: حدثنا يحيى بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الله بن أبي يحيى بن أبي كثير، قال: سمعت أبي يقول: "لا يستطاع العلم براحة الجسم". [ص 103]

وروينا في "صحيح البخاري" رضي الله تعالى عنه قال: قال ربيعة - يعني شيخ مالك بن أنس الإمام رضي الله تعالى عنه قال -: "لا ينبغي لمن عنده شيء من العلم، أن يضع نفسه".

قلت: في معنى كلام ربيعة قولان أوضحتهما في "شرح البخاري" واختصرتهما هنا:

(1) أحدهما: معناه من كانت فيه نجابة في العلم، وحصل طرفاً منه، وظهرت فيه أمارات التبريز فيه، فينبغي له أن يجتهد في تنمته، ولا يضيع طلبه فيضع نفسه.

(2) والثاني: معناه من حصل له العلم، ينبغي له أن يسعى في نشره، مبتغياً به رضا الله تعالى، ويشيعه في الناس لينتقل عنه، وينتفع به الناس، وينتفع هو، وينبغي أن يرفق في نشره بمن يأخذه منه، ويسهل طرق أخذه، ليكون أبلغ في نصيحة العلم فإن الدين النصيحة.

وقد اختلف أصحاب الشافعي رضي الله عنه وإياهم، فيمن كان بالصفة المذكورة في الأول هل يتعين عليه تنميم الطالب؟ ويحرم الترك؟ أم يبقى في حقه فرض كفاية، كما كان فلا يحرم عليه الترك إذا قام به غيره؟.

وهذا الثاني هو قول أكثرهم وهو الصحيح المختار والله أعلم.

وروينا عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: "من رق وجهه رق علمه!".

ومعناه: من استحيا في طلب العلم، كان علمه رقيقاً؛ أي: قليلاً. [ص 104]

وروينا في صحيح البخاري رضي الله تعالى عنه، قال مجاهد رحمه الله: "لا يتعلم العلم مستح ولا متكبر".

ورويها في صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: "نعم النساء نساء الأنصار! لم يكن يمنعهن الحياة أن يتفقهن في الدين".

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[الحث على طلب العلم]

ورويها في صحيح البخاري قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: "تفقهوا قبل أن تسودوا".

ومعناه: احرصوا على إتقان العلم، والتمكن من تحصيله، وأنتم شبان لا أشغال لكم ولا رئاسة ولا سن؛ فإنكم إذا كبرتم وصرتم سادة متبوعين، امتنعتم من التفقه والتحصيل، لأسباب منها: كثرة الأشغال، ومنها الأنفة لكبر السن والرئاسة، ومنها: التكاسل وغير ذلك]

وهذا نحو ما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: "تفقه قبل أن ترأس، فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه".

أخبرنا شيخنا أبو البقاء، أخبرنا أبو محمد، أخبرنا أبو بكر، أخبرنا الخطيب، وأخبرنا أبو محمد الصفهاني، وأخبرنا جعفر الخلدي، قال: سمعت الجنيد رحمه الله تعالى يقول: سمعت سرياً يقول:

"وما أحب أن أموت حيث أعرف، أخاف أن لا تقبلني الأرض وأفتضح!".

وبهذا الإسناد قال الجنيد: سمعت سرياً يقول:

"إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرتين، مخافة أن يكون قد اسود وجهي!". [ص 105]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[فوائد مفيدة]

وبهذا الإسناد إلى الخطيب قال: حدثنا علي بن القاسم، قال: سمعت الحسين بن أرجك يقول:

"من خير المواهب العقل، ومن شر المصائب الجهل".

وبالإسناد إلى الخطيب قال: أخبرنا عبد العزيز، حدثنا محمد، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله - تلميذ بشر بن الحارث - قال: سمعت ابن الحارث رضي الله عنه يقول:

"كانوا لا يأكلون تلذذاً، ولا يلبسون تنعماً!".

قال: "وهذا طريق الآخرة والأنبياء والصالحين، ومن بعدهم فمن زعم أن الأمر في غير هذا فهو مفتون!".

وبالإسناد إلى الخطيب قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري، حدثنا محمد بن عبد الله بن بهلول الفقيه، حدثنا أحمد بن علي بن أبي حمير قال: سمعت سهل بن عبد الله رحمه الله يقول:

"حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين، وفيه سكون إلى غير الله تعالى، وحرام على قلب أن يدخله النور، وفيه شيء مما يكرهه الله تعالى".

وبالإسناد إلى الخطيب قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأهوازي، حدثنا أبو عبد الله بن محمد بن مخلد العطار، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا محمد يعني إبراهيم بن هيصم قال: سمعت بشراً - هو - ابن الحارث رحمه الله يقول: "أوحى الله تعالى إلى داود: "يا داود! لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً؛ فيصدمك بسكره عن طريق محبتي،

أولئك قطاع طريق عبادي". نسأل الله العافية. [ص 106]

أخبرنا شيوخنا الثلاثة الأئمة:

(1) القاضي الإمام بقية المشايخ أبو الفضل عبد الكريم بن القاضي أبي القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري.

(2) والإمام الحافظ أبو البقاء خالد بن يوسف.

(3) والشيخ الإمام ذو الفنون شيخ الشيوخ أبو محمد عبد العزيز بن العاصي الإمام

أبي عبد الله محمد بن عبد المحسن بن محمد بن منصور الأنصاري،
الدمشقيون، قالوا: أخبرنا الشيخ الإمام أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي، أخبرنا
أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، أخبرنا أبو إسحاق بن عمر بن أحمد
البرمكي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن إبراهيم ناشي، أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن
عبد الله الكجبي، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا سليمان التيمي، عن
أبي عثمان النهدي، عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: "لو يعلم الناس عون
الله عز وجل للضعيف ما غالوا بالظهر".

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[من مواعظ الإمام]

وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه:

"عليك بالزهد! فالزهد على الزاهد أحسن من الحلبي على الناهد". [ص 107]

وقال الربيع رحمه لله تعالى: قال لي الشافعي رضي الله تعالى عنه: "يا ربيع! لا تتكلم
فيما لا يعينك؛ فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها".

وقال المزني رحمه الله تعالى: سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول: "ليس لأحد
إلا له محب ومبغض، فإذا لا بد من ذلك فليكن المرء مع أهل طاعة الله عز وجل".

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].
باب في نفائس مأثورة.

[سفيان بن عيينة]

ورويانا عن الحسن بن عمران بن عيينة، أن سفيان بن عيينة رضي الله تعالى عنه، قال له بالمزدلفة في آخر حجة حجها: قد وافيت هذا الموضع سبعين مرة أقول في كل مرة: "اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان! وقد استحبيت من الله عز وجل من كثرة ما أسأله". فرجع فتوفي في السنة الداخلة.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].
باب في نفائس مأثورة.

[صورة رائعة من الورع]

-أخبرنا الشيخ الأمين السيد أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد ابن التيمي البكري، بقراءتي عليه بكلاسة جامع دمشق، قال: أخبرنا الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد، قال: أخبرنا الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي، قال: سمعت عبد الدائم بن الحسن الهلالي يقول: سمعت عبد الوهاي بن الحسن كلابي يقول: سمعت محمد بن خريم العقيلي يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: -تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني - رحمه الله - في المنام، فرأيتُه بعد سنة فقلت له: يا معلم! ما فعل الله بك؟ فقال: [ص 108] "يا أحمد! جئت من باب الصغير فلقيت وسق شيخ فأخذت منه عوداً ما أدري تخللت به أو رميت به، فأنا في حسابه منذ سنة إلى هذه الليلة".

قلت: ما أبلغ هذه الحكاية في الحث على الورع والتحذير من التساهل في محقرات المظالم؟!.

والوسق: "بفتح الواو وبمسرها" لغتان: وهو الحِملُ. [ص 109]

- "ومعمر" المذكور بضم الميم الأولى وفتح الثانية وتشديدها.

- "وخريم" بضم الخاء وبالراء. "والعقيلي" بضم العين.

- أخبرنا شيخنا الإمام الصالح الحافظ المتقن، أبو إسحاق إبراهيم ابن عيسى بن يوسف المرادي بقراءتي عليه، أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسن بن هبة الله الحميري، أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي، أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد زنجويه الزنجوي، أخبرنا أبو طالب يحيى بن علي الدسكري قال: سمعت أبا أحمد الغطريفي يقول: سمعت أبا العباس محمد بن إسحاق السراج يقول: سمعت عبد الله بن محمد الوراق يقول: مروا بمعروف أيام [ص 110] الفتنة يتقاتلون وهو يقول لهم: مروا أصحابكم الله! مروا برك الله فيكم! فليل له: إنهم يخرجون للقتال! فقال: "إن أصحابهم الله لم يقاتلوا".

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[شذرات حسنة من كلام العارفين]

- أخبرنا شيخنا أبو إسحاق بهذا الإسناد إلى السراج [قال]: سمعت [ابن أبي الدنيا يقول: جلس إلى معروف، فاغتاب رجل منهم رجلاً فقال: يا هذا! اذكر يوم يوضع القطن على عينيك] [ص 111].

وبهذا الإسناد قال السراج: سمعت يحيى بن أبي طالب يقول: سمعت يعقوب بن أخ معروف يقول: سمعت عمي يقول: "كلام فيما لا يعنيه خذلان من الله تعالى".

وبهذا الإسناد قال السراج: سمعت علي بن الموفق يقول: كان من دعاء معروف: "يا مالك يا قدير يا من ليس له نظير"!.

-وبهذا الإسناد إلى الغطريفي قال: أخبرنا أبو الحسن التاجر قال: حدثنا سلمة بن شبيب، حدّثنا خلف بن تميم قال: رأيت ابن أدهم بالشام فقلت: ما أقدمك ها هنا؟ فقال: [ص 112] "أما أنا لم أقدمها لجهاد ولا لرباط، ولكن قدمتها لأشبع من خبز حلال". [ص 113]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[الصدق سبب النجاة]

-وروينا عن الحافظ أحمد بن عب الله العجلي قال: "ربيعي بن خراش" تابعي ثقة، لم يكذب قط، كان لن ابنان عاصيان زمن الحجاج، فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب قط، لو أرسلت إليه فسألته عنهما؛ فأرسل إليه فقال: أين ابنك؟ فقال: هما في البيت! فقال: "قد عفونا عنهما بصدقك!". [ص 114]

وقال الحارث الغزي ألى ربيع بن خراش أن لا يصير ضاحكاً حتى يعلم أين مصيره؟ فما ضحك إلا بعد موته!.

-وآلى أخوه ربيعي بعده أن لا يضحك حتى يعلم في الجنة هو أو في النار؟! قال الحارث: ولقد أخبرني غاسله أنه لم يزل مبتسماً على سريره ونحن نغسله حتى فرعنا [من غسله]!. [ص 115]

-وروينا عن أحمد بن عبد الله قال: اجتمع قراء أهل الكوفة في منزل الحكم بن عتيبة، فأجمعوا على أن أقرأ أهل الكوفة "طلحة بن مصرف"، فبلغه ذلك فقعد إلى "الأعمش" يقرأ عليه ليذهب ذلك الاسم عنه!.

قلت: "عتيبة" بتاء مثناة من فوق، ثم ياء مثناة من تحت، ثم ياء موحدة.
- "ومصرف" بضم الميم، وفتح الصاد المهملة، وكسر الراء المشددة على المشهور.
وقيل: بفتح الراء.

- وعن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال: قيل لأبي بن كعب رضي الله تعالى عنه: يا
أبا المنذر! عطني، قال: "وأخي الإخوان على قدر تقواهم، ولا تجعل لسانك بدأة لمن لا
يرغب فيه، ولا تغبط الحي إلا بما تغبط به الميت!".

- وعن الشافعي رحمه الله تعالى قال: قال فضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه:

"كم ممن يطوف هذا البيت وآخر بعيد منه وأعظم أجراً منه". [ص 116]

وعن الشافعي عن فضيل قال: قال داود النبي صلى الله عليه وسلم: "إلهي كن لابني
سليمان من بعدي كما كنت لي".

- فأوحى الله تعالى إليه: يا داود قل لابنك سليمان يكن لي مثلما كنت لي، أكون له كما
كنت لك.

وعن الشافعي رضي الله عنه قال: قال هشام بن عبد الملك: ارفع حاجتك إليّ! فقال:
"قد رفعتها إلى الجواد الكريم".

- وروينا في رسالة الأستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى في باب كرامات
الأولياء قال: كان لجعفر الخلدي فصح فوق يوماً في دجلة، وكان عنده دعاء مجرب
للضالة ترد فدعا به فوجد الفص، في وسط أوراق كان يتصفحها!.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[الدعاء لرد الضالة]

قال القشيري: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: إن ذلك الدعاء: "يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، اجمع علي ضالتي"! . قلت: وقد جريت هذا الدعاء، فوجدته نافعا، سبباً لوجود الضالة على قرب غالباً وأنه لم ينخرم.

وسمعت شيخنا أبا البقاء يقول: نحو ذلك؛ وهو علمنيه أولاً. وقوله: "فص" هو بفتح الفاء وكسرها، لغتان الفتح أجود.

-وأما "جعفر الخلدي" هو بضم الخاء المعجمة وإسكان اللام.

قال الحافظ الإمام أبو سعيد السمعاني في الأنساب:

-الخلد: محلة ببغداد ينسب إليها صبيح بن سعيد، الراوي عن عثمان بن عفان وعائشة رضي الله عنهما. [ص 117]

-قال: وأما جعفر بن محمد بن نصر الخلدي الخواص، أبو محمد أحد مشايخ الصوفية له كرامات ظاهرة. وإنما قيل له: "الخلدي" لأنه كان يوماً عند الجنيد، فسل الجنيد عن مسألة، فقال الجنيد: أجبههم ! فأجابهم. فقال له: [الجنيد]: يا خلدي من أي لك هذه الأجوبة؟ [فقال: من خلدي] فبقي عليه هذا الاسم. توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. روى عنه الدارقطني، وأبو حفص بن شاهين، وغيرهما وكان ثقة.

روى عن الحارث بن أبي أسامة وغيره وقال أحمد بن أبي الحواري في كتاب الزهد: سمعت بعض أصحابنا، أظنه أبا سليمان - يعني - الداراني رضي الله عنه قال: لإبليس شيطان يقال له: متقاض يتقاضى ابن آدم عشرين سنة ليخبر بعمله سرّاً؛ فيظهر له ليزيح عنه ما بين أجر السر والعلانية. [ص 118]

وروي عن إبراهيم بن سعيد قال: قلت لأبي سعد بن إبراهيم: بم فاقكم الزهري؟ قال: كان يأتي المجالس من صدورهما، ولا يأتيها من خلفها، ولا يبقى في المجلس شاب إلا ساءله، ولا كهل إلا ساءله، ولا فتى إلا ساءله، ولا عجوز إلا ساءلها، [ثم يأتي الدار من دور الأنصار؛ فلا يبقى فيها شاب إلا ساءله، ولا كهل إلا ساءله، ولا عجوز إلا ساءلها] ولا كهلة إلا ساءلها، حتى يحاول ربات الحجول.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[كتاب عمر رضي الله تعالى عنه]

-ومن أحسن ما يتأدب به في ترك الاعتناء بحس اللباس والمأكل والمشرب ونحوها، وما
روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، بإسنادنا إلى أبي عوانة
الإسفرائيني قال: حدثنا أبو حبيب المصيبي حدثنا حجاج قال: سمعت شعبة يحدث عن
قتادة قال: سمعت أبا عثمان النهدي رحمه الله تعالى عنه ونحن بأذربيجان مع عتبة بن
فرقد:

أما بعد؛ فاتزروا، وارتدوا، وانتعلوا، وارموا بالخفاف، وألقوا السراويلات، وعليكم
بلباس أبيكم إسماعيل عليه الصلاة والسلام، [ص 119] وإياكم والتنعم وزي العجم،
وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب؛ وتمعدوا، واخشوشنوا، واخولقوا، واقطعوا
الركب، وارموا لأغراض، وانزوا نزواً. [ص 120]

-قوله: "اخولقوا" لم أقف على ضبطه، ولعلها بالخاء المعجمة من قول العرب: اخولق
السحاب إذا استوى، واخولق الرسم إذا استوى بالأرض.

-أما ضبط ألفاظه: "فالمصيبي" بكسر الميم، والصاد المشددة ويقال بفتح الميم،
وتخفيف الصاد؛ الأول: أشهر وأرجح؛ نسبة إلى المصيصة البلدة المعروفة بناحية
طرطوس بلاد الأرمن.

-و"أبو عثمان النهدي" بفتح النون، وإسكان الهاء، منسوب إلى جد له من أجداده.
والأول اسمه: "نهد بن زيد بن ليث"، واسم أبي عثمان: عبد الرحمن بن ملّ "بفتح الميم
وضمها وكسرها، واللام مشددة فيها.

ويقال: ملء بكسر الميم، وإسكان اللام، وبعدها همزة، وهو من كبار التابعين المخضرمين، واحدهم: مخضرم بفتح الراء، [ص 121] وهو من أدرك الجاهلية والإسلام وحياة **رسول الله** صلى الله عليه وسلم، ولم يره صلى الله عليه وسلم.

-وقد بينت هذا القدر من حاله في الإرشاد في علوم الحديث، الذي اختصرته من كتاب الشيخ أبي عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى.

-وكان أبو عثمان رحمه الله، عظيم القدر، كبير الشأن، قال: بلغت نحواً من ثلاثين ومائة سنة، وما من شيء إلا وقد أنكرته إلا أملي، فإني أجده كما هو.

-ولما قتل الحسين رضي الله عنه، تحول من الكوفة إلى البصرة وقال: لا أسكن في بلد قتل فيه ابن بنت **رسول الله** صلى الله عليه وسلم!.

-مات سنة خمس وتسعين من الهجرة. وقيل: سنة مائة. رحمه الله تعالى.

-وقوله: بأذربيجان، هو إقليم معروف. وفي ضبطه وجهان مشهوران:

(1) أحدهما: بإسكان الذال المعجمة من غير مد، وفتح الراء، وبعدها باء موحدة

مكسورة، ثم ياء مثناة من تحت ساكنة، ثم جيم.

(2) الثاني: بمده في أوله وفتح الذال وإسكان الراء.

وقوله: "وزي العجم" هو بكسر الزاي.

وقوله: "وتمعددوا" أي تخلقوا بعادة أبيكم معد بن عدنان في خشونة العيش.

واختلف النحويون في ميم معد: هل هي أصلية، أم زائدة؟ فقال سيبويه: أصلية. وغيره يقول: زائدة.

وقوله: "ارموا الأغراض" أي ارموا بالقسي. [ص 122]

وقوله: "وانزوا" معناه: إذا ركبت الخيل فبتوا من الأرض ولا ترتفعوا على حدر ونحوه. ولا تركبوا بالركب المعتادة للعجم في سروجهم.

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[قصة جابر وشهاب رضي الله عنهما]

أخبرنا الشيخ الفقيه المسند، أبو محمد عبد الرحمن بن سالم بن يحيى الأنباري، قال: أخبرنا الحافظ عبد القادر الرهاوي، قال: حدثنا القاضي أبو سليمان داود بن محمد بن الحسين الخالدي، قال: أخبرنا عمر بن محمد بن أحمد الدمشقي، [قال] أخبرنا الحسن بن عبد الملك، أخبرنا الحسين بن محمد بن نعيم، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن يعقوب، أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا محمد بن مرزوق. حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا عيسى بن حميد الراسي أبو همام، حدثنا [أبو] حفص بن النضر بن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، أتى رجلاً يسأله عن ستر المؤمن فقال: لست أنا ذاك؛ ولكن ذاك رجل يقال له: شهاب. [ص 123]

فسار جابر فأتى - عاملها يعني عامل البلدة الوالي - رجلاً يقال له: مسلمة فأتى الباب فقال للبواب: قل للأمير ينزل إليّ!.

فدخل البواب وهو مبتسم؛ فقال له الأمير: ما شأنك؟ قال: رجل بالباب على بعير قال: قل للأمير ينزل إليّ!.

فقال: ألا سألته من هو؟! فرجع إليه فسأله فقال: أنا جابر بن عبد الله الأنصاري، فرجع إلى الأمير وأخبره، فوثب عن مجلسه فأشرف عليه وقال: اصعد! فقال جابر: ما أريد أن أصعد؛ ولكن حدثني أين منزل "شهاب"؟ فقال: اصعد فأرسل إليه فيقضي حاجتك.

فقال: لا أريد أن يأتيه رسولك، فإن رسول الأمير إذا أتى رجلاً راعه ذاك، وأنا أكره أن يروع رجل من المسلمين بسبب! فنزل الأمير يمشي معه حتى أتى شهاباً؛ فأشرف عليهم شهاب فقال:

إما أن تصعدوا وإما أن أنزل إليكم؟ قال جابر: ما أريد أن تنزل إلينا، وما نريد أن نصعد إليك! ولكن حدثنا بحديث سمعته من **رسول الله** (عن ستر المؤمن؟ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من ستر على أخيه المؤمن فكأنما أحياه".

-ومما أنشدوا في إكرام من له نسبة إلى المحبوب قول بعضهم: [ص 124]

ألا حيي الديار بسعدٍ إني *** أحبُّ لحب فاطمة الديارا

(سعد) بضم السين المهملة، وإسكان العين: اسم موضع بنخل.

قال أبو بكر الهمداني في كتاب الاشتقاق: أصله سعد بضم العين مخفف باسكانها، وهو جمع سعيد، كرغيف ورغف.

-وإنما لم يرصفه الشاعر وإن كان مذكوراً؛ لأنه جعله اسماً للأرض بعينها، ويشبه هذا قول الآخر:

أحبُّ الأيامي إذ بثينةٌ أئيمٌ - وأحببتُ لَمَّا أن غنيت الغواني

الأيامي: النسوة التي لا أزواج لهن.

والغواني: المزوجات وقوله: عني هو بكسر التاء أي تزوجت.

وهذا الضرب من بديع الكلام أن يرجع من الغيبة إلى المخاطبة، فقال: (بثينة) ثم قال: (غنيت) وله نظائر كثيرة في القرآن العزيز منها قوله تعالى: {عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك...}

وقوله تعالى: {الحمد لله رب العالمين} إلى قوله {وإياك نعبد}.

وقد جاء عكسه، وهو الرجوع من الخطاب إلى الغيبة.

فمن ذلك قوله تعالى: {حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم}. [ص 125]

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[الاستهزاء بكلام النبوة]

أخبرنا الأنباري أخبرنا عبد الحافظ أخبرنا عبد القادر الرهاوي أخبرنا عبد الرحيم بن علي
الشاهد أخبرنا محمد بن طاهر المقدسي الحافظ أخبرنا أبو الفتح المقيد أخبرنا أبو
الحسن [بن] علي بن محمد بن طلحة حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، قال:
سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي - رحمه لله تعالى - قال:

-كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين، فأسرعت المشي، وكان مع رجل
ماجن منهم في دينه فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها،
كالمستهزئ! فما زال في موضعه حتى جفت رجلاه وسقط!

-وقال الحافظ عبد القادر: إسناده هذه الحكاية كالأخذ باليدين، أو كراي العين؛ لأن
رواتها أعلام، ورواتها أئمة.

-وبالإسناد إلى المقدسي قال: أخبرنا أبو الحسن يحيى بن الحسين العلوي أخبرنا أبو
الحسين الضبي، قال: سمعت عبد الله بن محمد بن محمد العكبري يقول: سمعت أبا
عبد الله محمد بن يعقوب المتوشي يقول: سمعت أبا داود السجستاني يقول: كان في
أصحاب الحديث رجل خليع إلى أن سمع بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن
الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع).

-فجعل في عقبه مسامير حديد وقال: أريد أن أطأ أجنحة الملائكة! فأصابه أكلة [في
رجليه]

-قلت: "المتوشي" بميم مفتوحة ثم تاء مثناة من فوق، مشددة مضمومة وواو ساكنة ثم
تاء مثلثة ثم ياء النسب. [ص 126]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[حكاية عن بعض من استخف بالسنة!]

-وذكر الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي - رحمه الله - في كتابه شرح "صحيح مسلم":

-هذه الحكاية فيها وشلت رجلاه ويدها وسائر أعضائه. قال: ورأيت في بعض الروايات أنه تفسخت بنيته! قال: وقرأت في بعض الحكايات؛ أن بعض المبتدعة حين سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم:

(إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها، فإنه لا يدري أين باتت يده).

-قال ذلك المبتدع على سبيل التهكم: أنا أدري أين باتت يدي، في الفراش! فأصبح وقد أدخل يده في دبره إلى ذراعه!.

-قال التيمي: "فليتق المرء الاستخفاف بالسنن ومواضع التوقيف. فانظر كيف وصل إليهما شؤم فعلهما".

[ما قاله الإمام الشافعي في هذا]

-قلت: ومعنى هذا الحديث: ما قاله الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، وغيره من العلماء رضي الله تعالى عنهم:

-أن النائم تطوف يده في نومه على بدنه، ولا يأمن أنها مرت على نجاسة؛ من دم بشر، أو قملة، أو برغوث، أو على محل الاستنجاء، وما أشبه ذلك، والله أعلم.

قوله: "شلت يدها": أي يبست وبطلت حركتها، وهو بفتح الشين على اللغة الفصيحة، وفيها لغة أخرى بضمها، والله أعلم. [ص 127]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[قصة مثيرة]

-قلت: ومن هذا المعنى ما وجد في زماننا هذا وتوارثت به الأخبار وثبتت عند القضاة: أن رجلاً بقرية ببلاد بصرى، في أوائل سنة خمس وستين وستمائة، كان [شاباً] سيء الاعتقاد في أهل الخير، وله ابن يعتقد فيهم، فجاء ابنه يوماً من عند شيخ صالح ومعه مسواك.

-فقال: ما أعطاك شيخك؟ - مستهزئاً - قال: هذا المسواك. فأخذه منه وأدخله في دبره احتقاراً له! فبقي مدة ثم ولد ذلك الرجل الذي أدخل المسواك في دبره جرواً قريب الشبه بالسمكة فقتله! ثم مات الرجل في الحال، أو بعد يومين.

-عافانا الله الكريم من بلائه، ووفقنا الله لتنزيه السنن وتعظيم شعائره!!.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[ما ذكره معروف الكرخي]

-أخبرنا الشيخ الفقيه المسدد، أبو محمد عبد الرحمن بن سالم الأنباري رحمه الله أخبرنا القاضي الإمام أبو القاسم، عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري أخبرنا الإمام أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيبي أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي الزاهد رضي الله تعالى عنه أخبرنا القاضي أبو الحسن محمد بن علي فيما كتب إلي قال: أخبرنا أحمد بن يعقوب الهروي [قال] حدثنا أبو عبد الله الروزباري: حدثنا عمر بن مخلد الصوفي قال: قال ابن أبي الورد: قال معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه: [ص 128] "علامة مقت الله عز وجل للعبد أن يراه مشتغلاً بما لا يعنيه".

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[ما قاله الفضيل]

-أخبرنا شيخنا الحافظ أبو البقاء رحمه الله أخبرنا أبو محمد أخبرنا القاضي أبو بكر
أخبرنا الخطيب أبو بكر أخبرنا أبو سعيد يعني محمد بن موسى بن الفضل بن إبراهيم
قال: سمعت الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - يقول: تسأله الجنة وتأتي ما يكره!
ما رأيت أحداً أقل نظراً منك لنفسك.

-أخبرنا أبو البقاء حدثنا أبو محمد حدثنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن
بن السراج قال: سمعت أبا نصر عبد الله بن علي السراج قال: سمعت أبا بكر أحمد بن
محمد السائح قال: [ص 129] سمعت القاسم بن محمد - صاحب سهل - يقول: سمعت
سهل بن عبد الله يقول:

- "ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من الدعوى! ولا طريق أقرب إليه من
الافتقار".

-وروينا بأسانيد صحيحة عن أبي يحيى البكر اوي قال: ما رأيت أعبد لله من شعبة حتى
جف جلده على عظمه ليس بينهما لحم!.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[ما ذكره الإمام الشافعي]

-وبلغنا عن الشافعي رحمه الله قال: خير الدنيا والآخرة في خمس خصال:

(1) غنى النفس .

(2) وكف الأذى .

(3) وكسب الحلال .

(4) ولباس التقوى .

(5) والثقة بالله عز وجل على كل حال. [ص 130]

-وعن الشافعي - رضي الله تعالى عنه - قال: من غلبت عليه شدة الشهوة لحب الدنيا، لزمته العبودية لأهلها، ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع.

[من مواعظ الإمام الشافعي]

وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه:

- "من أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم، فعليه بالخلوة، وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء، وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب".

-وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: أنفع الذخائر: التقوى، وأضرها: العدوان.

-وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه ورحمه: أفضل الأعمال ثلاثة:

(1) ذكر الله تعالى.

(2) ومواساة الإخوان.

(3) وإنصاف الناس من نفسك.

-يعني هذه الثلاثة من أفضل الأعمال.

-وقال الشافعي رحمه الله تعالى: لا يعرف الرياء إلا مخلص، يعني لا يتمكن في معرفة

حقيقته والإطلاع على غوامض خفياته ودقائقه، إلا من أراد الإخلاص. [ص 131]

-فإنه يجتهد أزماناً متطاولة في البحث والفكر والتنقيب عنه؛ حتى يعرفه بعضه، ولا يحصل كل هذا لأحد؛ وإنما يحصل [هذا] للخواص.

-وأما من يزعم من آحاد الناس، أنه يعرف الرياء، فهو جهل منه بحقيقته.

-وسأذكر في هذا الكتاب باباً - إن شاء الله تعالى - ترى فيه من العجائب ما تقرُّ به

عينك، إن شاء الله تعالى.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[في خفايا الرياء]

-ويكفي في شدة خفائه ما رويناه عن الأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري - رحمه الله تعالى - في رسالته بإسنادنا المتقدم عنه قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر [يقول]: سمعت الحسن بن علوية يقول: قال أبو يزيد رضي الله تعالى عنه:

-كنت ثنتي عشرة سنة حداد نفسي، وخمس سنين كنت مرآة قلبي، وسنة أنظر فيما بينهما، فإذا في وسطي زنا زاهر، فعملت في قطعة ثنتي عشرة سنة، ثم نظرت فإذا في باطني زنا، فعملت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطع؟ فكشف لي فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى، فكبرت عليهم أربع تكبيرات!. [ص 132]

-قلت: يكفي في شدة خفاء الرياء، اشتباهه هذا الاشتباه على هذا السيد الذي عز عن نظيره في هذا الطريق.

-وأما قوله: "فرأيتهم موتى" فهو في غاية النفاسة والحسن، قل أن يوجد في غير كلام النبي صلى الله عليه وسلم كلام يحصل معناه. وأنا أشير إلى شرحه بعبارة وجيزة:
-فمعناه أنه لما جاهد هذه المجاهدة، وتهذبت نفسه، واستنار قلبه، واستولى على نفسه فقهرها، وملكها ملكاً تاماً، وانقادت له انقياداً خالصاً، نظر إلى جميع المخلوقين فوجدهم موتى لا حكم لهم. فلا يضرون ولا ينفعون، ولا يعطون ولا يمنعون، ولا يحيون ولا يميتون، ولا يصلون ولا يقطعون، ولا يقربون ولا يبعدون، ولا يسعدون ولا يشقون، ولا يرزقون ولا يحرمون، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً. [ص 133]

-وهذه صفة الأموات، فينبغي أن يعاملوا معاملة الموتى في هذه الأمور المذكورة.
-وأن لا يخافوا ولا يرجوا، ولا يطمع فيما عندهم، ولا يراءوا ولا يداهنوا، ولا يشتغل بهم، ولا يحتقروا ولا ينتقصوا، ولا تذكر عيونهم، ولا تتبع غرائزهم، ولا ينقب عن زلاتهم، ولا يحسدوا، ولا يستكثر فيهم ما أعطاهم الله تعالى من نعمه، ويرحموا

وبعدروا فيما يأتونه من النقائص، مع أنا نقيم الحدود عليهم ما جاء الشرع به من الحدود.

-ولا يميننا إقامة الحد ما قدمناه، ولا يميننا - أيضاً - ما قدمناه من إقامة الحد [ود] إنّنا نحرص على ستر عوراتهم من غير نقص لهم، كما يفعل ذلك بالميت.

-وإذا ذكرهم ذاكر بشين نهيناه عن الخوض في ذلك، كما تنهاه عن ذلك في الميت، ولا نفع شيئاً لهم، ولا تتركه لهم، ولا نتمتع من القيام بشيء من طاعات الله بسببهم، كما لا نتمتع من ذلك بسبب الميت، فنكثر بمحدهم ولا نحبه، ولا نكره سببهم إياناً ولا نقابله.

-فالحاصل أنهم كالعدم في جميع ما ذكرناه، فهم مدبرون تجري فيهم أحكام الله تعالى. فمن عاملهم هذه المعاملة جمع خير الآخرة والدنيا، نسأل الله الكريم التوفيق لذلك.

-فهذه الأحرف كافية الإشارة إلى شرح كلامه رضي الله تعالى عنه، والله أعلم. [ص

[134

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[وصية السري السقطي للشباب]

-وروينا بإسنادنا إلى القشيري رحمه الله تعالى قال: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي إمام الصوفية في زمانه وبعده قال: سمعت العباس البغدادي يقول: سمعت جعفرأ يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري - رحمه الله تعالى - يقول: "يا معشر الشباب! جدوا قبل أن تبلغوا مبلغي، فتضعفوا أو تقصروا كما قصرت"!.

-قال: وكان في ذلك الوقت لا تلحقه الشباب في العبادة!.

-وقال أحمد بن أبي الحواري في "كتاب الزهد": حدثنا سويد قال: رأيت ابن أبي مرثد في السوق وفي يده عرق ورغيف، وهو يأكل - وكان طلب للقضاء - ففعل ذلك حتى تخلص.

-قلت: العرق بفتح العين وإسكان الراء هو العظم عليه قليل لحم.
-ومما يشبه هذا ما رواه الإمام البيهقي بإسناده عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال: دخل سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه على أمير المؤمنين فجعل يتجانن عليهم، ويمسح البساط ويقول: ما أحسنه! لكم أخذتم هذا؟ قال: البول البول!
-حتى أخرج، يعني أنه احتال ليتباعدهم ويسلم من أمرهم.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في نفائس مأثورة.

[ما قاله الحسين عند موت ابنه]

-وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: مات ابن للحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما فلم ير عليه كآبة! فعوقب في ذلك، فقال:
-إنا أهل بيت نسال الله تعالى فيعطينا، فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا؟. [ص
[135]

-وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: "ما نحب من نحب إلا لطاعتهم لمؤدبهم، وأنت تعصيني قد أمرتك أن لا تفتح أصابعك في الثريد، ضمها".
-وعن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه أنه نظر إلى ابنه فقال: إني لأعلم خير خلّة فيك. قيل: وما هي؟ قال: يموت فأحتسبه.
-وعن أبي الحسن المدائني قال: قيل لأعرابية: ما أحسن عزاك على ابنك؟ [فقلت]: إن فقد أبيه أنسى المثائب بعده!.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].
باب في نفائس مأثورة.

[صورة رائعة في التعزية]

-وقال موسى بن المهدي لإبراهيم بن سلم، وعزاه بابنه فقال: أسرَّك وهو بلية وفتنة،
وأحزنك وهو صلوات ورحمة.

قال: وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزبه بابنه:

-أما بعد فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة، فإذا قدمه فصلاة ورحمة، فلا تجزع
على ما فاتك من حزنه وفتنته، ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته.

[ص 136]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].
باب في نفائس مأثورة.

[نتيجة التقصير في العبادة]

-وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: أقيمت عشرين سنة لم أحتلم؟
فأحدثت بمكة حدثاً، فما أصبحت حتى احتلمت، فقلت: وأي شيء كان الحدث؟ قال:
تركت صلاة العشاء الآخرة في المسجد الحرام في جماعة.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].
باب في نفائس مأثورة.

[اللحن في العمل]

-وروينا عن الإمام مالك رضي الله تعالى عنه:

- "تلقى الرجل وما يلحن حرفاً، وعمله لحن كله".

- وروينا عن الإمام أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول المصولي، بضم الصاد المهملة وإسكان الواو قال: قال بعض الزهاد: - "أعربنا في كلامنا فما نلحن، ولحننا في أعمالنا فما نُعربُ!". - وقال الشاعر:

لَمْ نُؤتْ مِنْ جَهْلٍ وَلَكِنَّا *** نَسْتَرُ وَجْهَ الْعِلْمِ بِالْجَهْلِ

نكره أن نلحنَ في قولنا *** وما نبالي اللحن في الفعل [ص 137]

[ما وجده الخليل بن أحمد بعد موته]

- وأخبرنا الشيخ أبو محمد إسماعيل بن أبي إسحاق، إبراهيم بن أبي البشر شاعرنا أخبرنا أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعي أخبرنا أبو محمد هبة الله بن أحمد بن محمد الأكناني حدثنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الحافظ أخبرنا عبيد الله بن عمر الواعظ حدثني أبي حدثنا عبد الله بن محمد بن نصر بن علي الجهضمي حدثني محمد بن خالد حدثنا علي بن نصر قال: رأيت الخليل بن أحمد - رحمه الله تعالى - في النوم فقلت في منامي: لا أرى أحداً أعقل من الخليل، فقلت: ما صنع الله بك؟ - قال: رأيت ما كنا فيه؟ فإنه لم يكن شيء أفضل من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

- وفي رواية:

- قال علي بن نصر: رأيت الخليل بن أحمد في المنام فقلت له: ما فعل ربك بك؟ قال: غفر لي. قلت: بم نجوت؟ قال: بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

- قلت: كيف وجدت علمك؟ أعني العروض والأدب والشعر.

قال: وجدته هباءً منثوراً. [ص 138]

- وبهذا الإسناد إلى أحمد بن علي بن ثابت قال: أنشدنا [أبو الحسن] محمد بن المظفر

أنشدنا أبو بكر أحمد بن سليمان النجار أنشدنا هلال بن العلاء لنفسه:

سَيَبْلَى لِسَانُ كَانِ يُعْرَبُ لَفْظُهُ *** فَيَا لَيْتَهُ فِي وَقْفَةِ الْعَرْضِ يَسْلَمُ

وما يَنْفَعُ الإِعْرَابُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تُقَى *** وما ضَرَّ ذَا التَّقْوَى لِسَانٌ مَعْجَمٌ [ص 139]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم

قال الله تعالى:

-[ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم

البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم].

[ص 140]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

[دليل الكرامة عقلاً ونقلاً]

-اعلم أن مذهب أهل الحق، إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة في

الأعصار، ويدل عليه دلائل العقول، وصرائح النقول.

-أما دلائل العقل:

-فهو إنها أمر يمكن حدوثه، [و] لا يؤدي وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين، فيجب

وصف الله تعالى بالقدرة عليه، وما كان مقدوراً كان جائز الوقوع.

-وأما النقول: فأيات في القرآن العزيز، وأحاديث مستفيضة.

أما الآيات، فقولته تعالى في قصة مريم: {وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً

جنيًا}.

-قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين رحمه الله تعالى: ولم تكن مريم نبيّة بإجماع العلماء؛ وكذا قاله غيره؛ بل كانت وليّة صديقة، كما أخبرنا الله تعالى عنها.

-وقوله تعالى: {كلما دخل عليها زكريا المحراب، وجد عندها رزقاً، قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله}. [ص 141]

-ومن ذلك قصة صاحب سليمان عليه السلام حيث قال: {أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك}. [ص 142]

-قال العلماء: ولم يكن نبياً ومن ذلك ما استدل به إمام الحرمين وغيره؛ من ذلك قصة أم موسى.

-ومن ذلك ما استدل به الأستاذ أبو القاسم القشيري من قصة ذي القرنين. [ص 143]

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

[أقوال العلماء في الخضر عليه السلام]

-واستدل القشيري وغيره بقصة الخضر مع موسى صلوات الله عليه وسلامه، قالوا: ولم يكن نبياً؛ بل كان ولياً؛ وهذا خلاف المختار.

-والذي عليه الأكثرون أنه كان نبياً؛ وقيل: كان نبياً رسولاً. وقيل: كان ولياً. وقيل: ملكاً.

-وقد أوضحت الخلاف فيه وشرحه في (تهذيب الأسماء واللغات). [ص 144]

-وفي شرح (المهذب). وفي ذلك قصة أهل الكهف وما اشتملت [ص 145] عليه من

خوارق العادات. قال إمام الحرمين وغيره: ولم يكونوا أنبياء بالإجماع. [ص 146]

-وأما الأحاديث فكثيرة؛ منها: حديث أنس، أن رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجا من عند النبي في ليلة مظلمة، ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما،

فلما افترقا، صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله!. [ص 147]

-أخرجه البخاري في صحيحه في "كتاب الصلاة" وفي "علامات النبوة".
-هذان الرجلان: "عباد بن البشر" و "أسيد بن حضير" بضم أولهما وفتح ثانيهما. و
"حضير" بضم الحاء المهملة وبالضاد المعجمة.

-ومنها: حديث أصحاب الغار الثلاثة الذين أوا إلى الغار فأطبقت صخرة عليهم بابه!
فدعا كل واحد منهم بدعوة فانفرجت عنهم الصخرة، وهو مخرج في صحيح البخاري
ومسلم. [ص 148]

-ومنها حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في قصة جريح، [ص 149] أنه قال
للصبي الرضيع: من أبوك؟ قال: فلان الراعي. وهو مخرج في الصحيح.

-ومنها حديث أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لقد كان فيما قبلكم من
الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر).
-وفي رواية:

- (قد كان فيمن [كان] قبلكم رجال من بني إسرائيل يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء).
"رواه البخاري في صحيحه". [ص 150]

-ومنها الحديث المشهور في صحيح البخاري وغيره في قصة خبيب الأنصاري - بضم
الخاء المعجمة - رضي الله تعالى عنه، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
-وقول بنت الحارث فيه: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً
يأكل من قطف عنب في يده، وأنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمر!

-وكانت تقول: إنه لرزق الله رزقه خيباً. [ص 151]
-والأحاديث، والآثار، وأقوال السلف والخلف، في هذا الباب أكثر من أن تحصر، فيكتفى
بما أشرنا إليه.

-وسترى في هذا الباب جملاً من ذلك، وباقي الكتاب إن شاء الله تعالى.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

[الرد على المعتزلة بإنكارهم خرق العادة]

-قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين:

-"الذي صار إليه أهل الحق، جواز انخراق العادة في حق الأولياء".

-وأطبقت المعتزلة على إنكار ذلك. ثم من أهل الحق من صار إلى أن الكرامة الخارقة للعادة، شرطها أن تجري من غير إيثار واختيار من الولي، وصار هؤلاء إلى أن الكرامة تفارق المعجزة من هذا الوجه.

-قال الإمام: وهذا القول غير صحيح. [ص 152]

-وصار آخرون منهم إلى تجويز وقوع الكرامة على حكم الاختبار، ولكنهم منعوا وقوعها على مقتضى الدعوى فقالوا:

-لو ادعى الولي الولاية، واعتضد في إثبات دعواه بما يخرق العادة، فكان ذلك ممتنعاً، وهؤلاء فرقوا بهذا بين الكرامة والمعجزة.

-قال: وهذه الطريقة غير مرضية - أيضاً - قال: ولا يمتنع عندنا ظهور خوارق العوائد مع الدعوى المفروضة. قال: وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولي.

-فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر، وتنقلب العصا ثعباناً، ويحيى الموتى إلى غير ذلك من آيات الأنبياء كرامة لولي.

-قال الإمام: وهذه الطريقة غير سديدة - أيضاً -.

-قال: والمرضي عندنا جواز خوارق العادات في معارض الكرامات. قال: وغرضنا من إبطال هذه المذاهب والطرق، إثبات الصحيح عندنا.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

[المعجزة والكرامة لا يفترقان]

-قال: وأما الفرق بين المعجزة والكرامة، فلا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة، ووقع الكرامة دون ادعاء النبوة.

-قال الإمام: وقد جرى من الآيات في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا ينكره منتهم إلى الإسلام، وذلك قبل النبوة والانبعاث، والمعجزة لا تسبق دعوى النبوة، فكان كرامة.

-قال: فإن زعم متعسف أن الآيات التي استدللنا بها كانت معجزات لنبي كل عصر، فذلك اقتحام منه للجهاالات. [ص 153]

-فإننا إذا بحثنا عن الأعصار الخالية، لم نجد الآيات التي تمسكنا بها مقترنة بدعوة نبوة، ولا وقعت عن تحدي متحد.

-فإن قالوا: وقعت للأنبياء دون عوامهم، قلنا: شرط المعجزة: الدعوى؛ فإذا فقدت كانت خارقة للعادة، كرامة للأنبياء، ونجعل بذلك غرضنا في إثبات الكرامات. -ولم يكن وقت مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي تستند إليه آياته. -قال الإمام: فقد وضحت الكرامات جوازاً ووقوعاً، سمعاً وعقلاً.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

[الفرق بين السحر والكرامة]

-قال الإمام وغيره في الفرق بين السحر والكرامة: أن السحر لا يظهر إلا على فاسق، والكرامة لا تظهر على فاسق. قال: وليس ذلك من مقتضيات العقل؛ ولكنه متلقى من إجماع الأمة. [ص 154]

-قال الإمام: ثم الكرامة وإن كانت لا تظهر على فاسق معلى بفسقه، فلا تشهد بالولاية على القطع؛ إذ لو شهدت بها لأمن صاحبها العواقب؛ وذلك لم يجر لولي في كرامة باتفاق.

-هذا آخر كلام إمام الحرمين .

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

[في إثبات كرامات الأولياء]

-قال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى فيما روينا في رسالته: [ص 155]

-ظهور الكرامات، علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله؛ فمن لم يكن صادقاً فظهور مثله عليه لا يجوز.

-[قال]: ولا بد أن تكون الكرامة فعلاً ناقضاً للعادة في أيام التكليف ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله.

-قال: وتكلم أهل الحق في الفرق بين الكرامة والمعجزة.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

[الفرق بين المعجزة والكرامة]

-فكان الإمام أبو إسحاق الأسفرايني رحمه الله تعالى يقول:

-المعجزات دلالات صدق الأنبياء، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي، كما أن الفعل

المحكم لما كان دليلاً للعالم فيكونه عالماً لم يوجد غيره يكون عالماً. [ص 156]

-وكان يقول: الأولياء لهم كرامات، منها شبه إجابة الدعاء، فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا.

-وقال الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى:

-المعجزات دلالات الصدق، ثم إن ادعى صاحبها النبوة دلت على صدقه، وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت على صدقه في حالته. فتسمى كرامةً، ولا تسمى معجزة، وإن كانت من جنس المعجزات، للفرق.

-وكان رحمه الله يقول:

-من الفرق بين المعجزات والكرامات، أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون بإظهارها، والولي يجب عليه سترها وإخفاؤها. [ص 157]

-والنبي يدعي ويقطع القول به، والولي لا يدعيها ولا يقطع كرامته لجواز أن يكون ذلك مكرراً.

-وقال أُوحد وقته في فنه القاضي أبو بكر الباقلاني رضي الله تعالى عنه:

-المعجزات تختص بالأنبياء، والكرامات تكون للأولياء، [كما تكون للأنبياء] ولا تكون للأولياء معجزة، لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها.

-والمعجزة لم تكن معجزة لعينها؛ وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة، فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة. [ص 158]

-قال القشيري: وهذا الذي قاله [هو الذي] نعتمده [ونقول به بل] وندين [الله] به. فشرائط المعجزات كلها أو أكثرها توجد في الكرامات إلا هذا الشرط الواحد، وهو دعوى النبوة، فلا تكون المعجزة كرامة.

-فالكرامة [كالمعجزة] فعل [من الله] لا محالة [فهي حادثة لا قديمة] وهو ناقض للعادة، ويحصل في زمن التكليف، وتظهر على عبد تخصيصاً له وتفضيلاً. [ص 159]

-وقد تحصل باختياره ودعائه، وقد لا تحصل، وقد تكون بخير اختياره في غالب الأوقات، ولم يؤمر الولي بدعاء الخلق إلى نفسه، ولو أظهر شيئاً من ذلك على من يكون أهلاً له لجاز.

-واختلف أهل الحق في الولي، هل يجوز أن يعلم أنه ولي أم لا؟ فكان الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله يقول:

-لا يجوز ذلك؛ لأنه يسلبه الخوف، ويوجب له الأمن.

-وكان الأستاذ علي الدقاق - رحمه الله - يقول بجوازه وهو الذي توثره ونقول به، وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء، حتى يكون كل ولي يعلم أنه ولي واجباً، ولكن يجوز أن يعلم بعضهم ذلك كما لا يجوز أن لا يعلم بعضهم. [ص 160]

-فإذا علم بعضهم أنه ولي، كانت معرفته تلك كرامة له انفرد بها.

-وليس كل كرامة لولي، يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء، بل لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا، لم يقدر عدمها في كونه ولياً، بخلاف الأنبياء فإنه يجب أن تكون لهم معجزات؛ لأن النبي مبعوث إلى الخلق، فالناس بحاجة إلى معرفة صدقه، ولا يعرف إلا بمعجزة.

-وحال الولي بعكس ذلك، لأنه ليس بواجب على الخلق، ولا على الولي - أيضاً - العلم بأنه ولي.

-والعشرة من الصحابة - رضي الله عنهم - صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم [فيما أخبرهم به] في أنهم من أهل الجنة. [ص 161]

-وأما قول من قال: لا يجوز ذلك، لأنها تخرجهم من الخوف فلا بأس أن لا يخافوا تغيير العاقبة.

-والذي يجدونه في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق سبحانه وتعالى، يزيد [ويربو] على كثير من الخوف. [ص 162]

-قال الأستاذ القشيري: واعلم أنه ليس للولي مساكنة إلى الكرامة التي تظهر عليه، ولا [له] ملاحظة، وربما يكون لهم في ظهور جنسها [قوة] يقين، وزيادة بصيرة، لتحققهم أن ذلك فعل الله تعالى، فيستدلون بها من صحة ما هم عليه من العقائد، والله أعلم. [ص 163]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].
باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.
فصل [كل كرامة لولي معجزة لنبي].

فصل [كل كرامة لولي معجزة لنبي]

قال القشيري رحمه الله تعالى: إن قيل كيف يجوز إظهار [هذه] الكرامات الزائدة في المعاني على معجزات الرسل؟.

-قلنا: هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا [محمد] صلى الله عليه وسلم، لأن كل من ليس بصادق في الإسلام تمتنع عليه الكرامات. وكل نبي ظهرت له كرامة على واحد من أمته، فهي معدودة من جملة معجزاته، إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقاً لم تظهر على من تابعه الكرامة. يعني التي هي الكرامة لهذا الواحد. [ص 164]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].
باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.
فصل [لا يجوز تفضيل الولي على النبي].

فصل [لا يجوز تفضيل الولي على النبي]

قال القشيري: هل يجوز تفضيل الولي على النبي؟.

-قلنا: رتبة الأولياء لا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. للإجماع المنعقد على ذلك.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].
باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.
فصل [لا يجوز تفضيل الولي على النبي].

[الكرامات تتنوع بتنوع الأحوال والمناسبات]

قال الأستاذ القشيري رحمه الله: هذه الكرامات [قد] تكون إجابة دعوة، وقد تكون إظهار طعام في أوان [فاقة] من غير سبب [ص 165] ظاهر، أو حصول ماء في وقت عطش، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة، أو تخليص من عدو، أو سماع خطاب من هاتف، وغير ذلك من فنون الأفعال المناقضة للعادة.

قال: واعلم أن كثيراً من المقدورات يعلم اليوم قطعاً أنه لا يجوز أن تقع كرامة للأولياء بالضرورة أو شبه الضرورة يعلم ذلك، فمنها حصول إنسان من غير أبوين، وقلب جماد بهيمة، وأمثال هذه كثيرة.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

فصل [في اشتقاق لفظ الولي].

فصل [في اشتقاق لفظ الولي]

قال القشيري: يحتمل الولي أمرين:

(1) أحدهما أن يكون فعلاً مبالغاً في الفاعل؛ كالعليم بمعنى [ص 166] العالم،

والقدير بمعنى القادر، فيكون معناه: من توالى طاعته من غير تخلل معصية.

(2) والثاني أن يكون فعلاً بمعنى مفعول؛ كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى

مجروح، وهو الذي يتولى الله سبحانه وتعالى حفظه وحراسته على الإدامة

والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة المعصية، وبديم توفيقه الذي هو

قدرة الطاعة، قال الله تعالى: {وهو يتولى الصالحين}. [ص 167]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

فصل [وأما العبد الصالح فيطلق على النبي والولي].

فصل [وأما العبد الصالح فيطلق على النبي والولي]

قال الله تعالى: {وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين، وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين}.

-وقال تعالى عن نبيه يحيى صلى الله عليه وسلم: {ونبياً من الصالحين}.

-وقال تعالى: {فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين}.

-[وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في عبد الله بن عمر: "إنه رجل صالح"].

-والآيات والأحاديث بمعنى ما ذكرته كثيرة.

[حد الصالح]

-وأما حد الصالح فقال الإمام أبو إسحاق الزجاج في كتابه معاني القرآن، وأبو إسحاق بن قرقول صاحب مطالع الأنوار:

-هو المقيم بما يلزم من حقوق الله تعالى، وحقوق العباد. [ص 168]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

فصل [في الفرق بين العصمة والحفظ].

فصل [في الفرق بين العصمة والحفظ]

قال الإمام القشيري: فإن قيل هل يكون الولي معصوماً أم لا؟.

-قلنا: أما وجوباً كما يقال في [حق] الأنبياء فلا، وأما أن يكون محفوظاً حتى لا يصر على الذنوب، وإن حصلت هفوات في أوقات، أو آفات، أو زلات، فلا يمتنع ذلك في وصفهم.

-وقد قيل للجنيد: العارف يزني؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً. [ص 169]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

فصل [الخوف لا يفارق الأولياء].

فصل [الخوف لا يفارق الأولياء]

قال التستري رحمه الله: فإن قيل: هل يسقط الخوف عن الأولياء؟.

-قلنا: الغالب على الأكابر كان الخوف.

-وذلك الذي تقدم على جهة الندرة [يعني القلة] غير ممتنع.

-وهذا السري السقطي رضي الله تعالى عنه يقول:

-لو أن واحداً دخل بستاناً فيه أشجار كثيرة، وعلى كل شجرة طير يقول [له] بلسان فصيح: السلام عليك يا ولي الله! فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكوراً به. وأمثال هذا من حكاياتهم كثيرة.

-قال: فإن قيل: هل يجوز أن يزابل الولي خوف المكر؟.

-قلنا: إن كان مصطلحاً عن شاهده، مختطفاً عن إحساسه بحاله، فهو مستهلك عنه،

فيما استولى عليه والخوف من صفة الحاضرين [بهم]. [ص 170]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

فصل [ما يغلب على الولي حال صحوه].

فصل [ما يغلب على الولي حال صحوه]

قال القشيري: فإن قيل: ما الغالب على الولي في حال صحوة؟.

قلنا: صدقه في أداء حقوق الله سبحانه وتعالى، ثم رأفته وشفقته على الخلق في جميع أحواله، ثم انبساط رحمته للخلق كافة، ثم دوام تحمله عنهم بجميل الخلق، وتعليق الهمة بنجاة الخلق، وترك الانتقام منهم، والتوقى عن استشعار حقد عليهم، ومع قصر اليد عن أموالهم وترك الطمع بكل وجه وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم، والتهاون عن شهود مساويهم، ولا يكون خصماً في الدنيا ولا في الآخرة.

-قلت: معناه أنه يعفو عن حقوقه في الدنيا فلا يطالبهم بها في الدنيا ولا يبقى له عندهم شيء يطالب به في الآخرة.

-قال الله تعالى: {ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور}. [ص 171]

-وقال الله تعالى: {والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين}.

-وروينا في كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني بإسناده عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟! قالوا: ومن أبو ضمضم يا رسول الله؟! قال: كان إذا أصبح قال: اللهم إني وهبت نفسي وعرضي لك؛ فلا يشتتم من شتمه، ولا يظلم من ظلمه، ولا يضرب من ضربه).

-قلت: معناه لا يقتص ممن ظلمه، كما قال الله تعالى: {فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم}.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

فصل.

فصل

قال القشيري: واعلم أنّ من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعة، والعصمة عن المعاصي والمخالفات.

-قلت: يدخل في المخالفات ما ليس معصية، كالمكروه كراهة التنزيه، وكترك الشهوات التي يستحب تركها. [ص 172]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

فصل [في الحديث عن رؤية الله تعالى].

فصل [في الحديث عن رؤية الله تعالى]

قال القشيري: فإن قيل: فهل تجوز رؤية الله [تبارك] وتعالى بالأبصار اليوم في الدنيا على جهة الكرامة؟.

-قلنا: الأقوى أنه لا يجوز؛ لحصول الإجماع عليه.

-قال: ولقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك رضي الله عنه، يحكي عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله أنه قال: في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبيرة.

-قلت: قد نقل جماعة الإجماع على أن رؤية الله تعالى لا تحصل [ص 173] للأولياء في الدنيا، وامتناعها بالسمع، وإلا فهي ممكنة بالعقل عند أهل الحق، كما أنها حاصلة للمؤمنين في الآخرة باتفاق أهل الحق.

-وقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه وتعالى ليلة الإسراء، والمختار عند الأكثرين أو الكثيرين أنه رأى. وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقد بسطت مقاصد ذلك في أوائل شرح صحيح مسلم رحمه الله.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].
باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.
فصل [هل تسلب الولاية ويتغير صاحبها؟].

فصل [هل تسلب الولاية ويتغير صاحبها؟]

قال القشيري: فإن قيل: هل يجوز أن يكون ولياً في الحال صديقاً ثم يتغير؟ وهذا الذي نختاره، ويجوز أن يكون من جملة كرامات الولي، أن يعلم أنه مأمون العاقبة وأنه لا تتغير عاقبته؟.

-[قلنا: من جعل من شرط الولاية حسن الموافاة لا يجوز ذلك.

-ومن قال: إنه في الحال مؤمن على الحقيقة، وإن جاز أن يتغير حاله لا يبعد أن يكون ولياً في الحال صديقاً ثم يتغير.

-قال: وهذا الذي نختاره ويجوز أن يكون من جملة كرامات الولي أن يعلم أنه مأمون العاقبة، وأنه لا تتغير عاقبته [فتلتحق هذه المسألة بما ذكرناه من أن الولي يجوز أنه يعلم أنه ولي]. [ص 174]

نظر في الكتاب:

[بستان العارفين للإمام النووي].
باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.
فصل في منشور حكايات في المواهب والكرامات.

فصل في منشور حكايات في المواهب والكرامات

أما الكرامة: فتقدم بيان حدها. وأما المواهب: فجمع موهبة، وهي أمر ليس بخارق للعادة، ولكنه قليل مستبعد في العادة، يتميز به بعض الناس، ولا يختص ذلك بالأولياء بل يكون لهم ولغيرهم، وأنا أذكر في هذا الباب جملاً من الكرامات والمواهب المستحسنة إن شاء الله تعالى:

-قال الله تعالى: {وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما تثبت به فؤادك}.

-وقال [الله] تعالى: {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}.

-أخبرنا شيخنا الشيخ الإمام [الصالح] القاضي أبو محمد عبد الرحمن بن الشيخ الإمام الصالح أبي عمر بن أحمد بن محمد بن قدامة قال: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد قال: أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي قال: أخبرنا أبو عامر محمود بن القاسم بن محمد الأزدي، وأبو بكر [أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، وأبو نصر عبد العزيز بن عمر الرفاني قال: حدثنا] أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن الجراح الجراحي قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي قال: [ص 175] أخبرنا الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال: حدثنا عمران بن حفص قال: حدثنا عبد الله بن وهب، عن عمر بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

-{لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة}.

-قال الترمذي: "هذا حديث حسن".

-وبهذا الإسناد إلى الترمذي قال: حدثنا علي بن حجر قال: حدثنا مسلمة بن عمرو قال: كان عمر بن هانئ يصلي كل يوم ألف سجدة - يعني ألف ركعة - ويسبح مائة ألف تسبيحة.

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

فصل في منشور حكايات في المواهب والكرامات.

[أبو مسلم الخولاني رضي الله عنه]

وأخبرنا شيخنا أبو البقاء الحافظ قال: أخبرنا أبو محمد أخبرنا أبو بكر أخبرنا الخطيب أخبرنا الحسن بن محمد البزاز أخبرنا محمد بن جعفر الآدمي أخبرنا محمد بن موسى الشطوبي أخبرنا هارون بن معروف حدثنا ضمرة، عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال:

-قالت امرأة أبي مسلم: - يعني الخولاني - يا أبا مسلم! ليس لنا دقيق! قال: عندك شيء؟ قالت: درهم بعنا به غزلاً. قال: أبغنيه أي أعطينيه وهاتي الجراب! فدخل السوق فوقف على رجل يبيع الطعام، فوقف عليه سائل فقال: يا أبا مسلم تصدق عليّ! فهرب منه [ص 176] وأتى حانوتاً آخر، فتبعه السائل، فقال: تصدق علينا! فلما أضجره أعطاه الدرهم، ثم عمد إلى الجراب فملأه من نحاعة النجارين مع التراب! ثم أقبل إلى باب منزله فنقر الباب، وقلبه مرعوب من أهله فلما فتحت الباب رمى بالجراب وذهب! فلما فتحته إذا هي بدقيق حواري، فعجنت وخبزت، فلما ذهب من الليل الهويّ جاء أبو مسلم فنقر الباب، فلما دخل وضعت بين يديه خواناً وأرغفة حواري! فقال: من أين لكم هذا؟ فقالت: يا أبا مسلم من الدقيق الذي جئت به! فجعل يأكل ويبكي!.

-قلت: ما أنفس هذه الحكاية وأكثر فوائدها!.

وقوله: "الجراب" بكسر الجيم وفتحها، لغتان الكسر أفصح.

وقوله: الحوارى هو بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وفتح الراء وتخفيف الياء، وهو الأبيض.

وقوله: الهوي هو بكسر الواو، وتشديد الياء، وأما الهاء فتفتح وتضم لغتان: الفتح أفصح وأشهر، وهو قطعة من الليل [قيل] يجوز ربعه [أ] وثلثه.

وقوله: خواناً هو بضم الخاء وكسرها، لغتان الكسر أفصح وأشهر، وهو عجمي معرب، وجمعه أخونة وخوان.

-وأما أبو مسلم صاحب هذه الكرامة رضي الله عنه، فاسمه: عبد الله بن ثوب، بثاء مثلثة مضمومة، ثم واو مفتوحة مخففة، ثم باء موحدة. ويقال: ابن ثواب، ويقال: ابن أثوب، ويقال: ابن عبد الله، ويقال: ابن عوف، ويقال: ابن مسلم، ويقال: اسمه يعقوب

بن عوف والصحيح المشهور ما قدمناه. [ص 177]

-وهو من أهل اليمن سكن الشام بداريا بالقريّة المعروفة بجانب دمشق، وكان من كبار زهاد التابعين وعبادهم وصالحيتهم، وأهل الكرامات الظاهرات، والأحوال السنية المتظاهرات.

-وكان قد رحل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصاحبه، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق، فجاء فلقي أبا بكر الصديق، وعمر وغيرهما من الصحابة، رضي الله عنهم.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

فصل في منشور حكايات في المواهب والكرامات.

[من كرامات أبي مسلم رضي الله عنه]

-ومن نفائس كراماته ما رواه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في كتاب الزهد له، أن أبا مسلم الخولاني رضي الله عنه مرَّ بدجلة وهي ترمي الخشب من برها، فمشى على الماء ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تعتقدون من متاعكم شيئاً فندعوا الله عز وجل؟ -ورواه من طريق آخر، وفيه أنه وقف على دجلة، ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم ذكر آلاءه ونعمائه، وذكر سير بني إسرائيل في البحر، ثم نهر دابته فانطلقت تخوض له الدجلة، وأتبعه الناس، حتى قطعها الناس رضي الله عنه. [ص 178]

-ويأسناد الإمام أحمد رحمه الله أيضاً: أن أبا مسلم كان بأرض الروم، فبعث الوالي سرية، ووقت لهم وقتاً، فأبطأوا عن الوقت، فاهتم أبو مسلم بإبطائهم، فبينما هو يتوضأ على شط نهر وهو يحدث نفسه [في أمرهم] إذ وقع غراب على شجرة مقابلة فقال: يا أبا مسلم! اهتممت بأمر السرية؟ فقال: أجل؛ فقال: لا تهتم فإنهم قد غنموا وسلموا [وسيردون عليكم يوم كذا في] وقت كذا وكذا. فقال له أبو مسلم: من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا مفرح قلوب المؤمنين.

-فجاء القوم في الوقت الذي ذكر على ما ذكر.

-وبإسناد أحمد رضي الله عنه: أن أبا مسلم كان جالساً مع أصحابه في أرض الروم يحدثهم، فقالوا: يا أبا مسلم! قد اشتهينا اللحم فلو دعوت الله تعالى فرزقنا! فقال: اللهم قد سمعت قولهم، وأنت على ما سألوا قادر. فما كان إلا أن سمعوا صياح أهل العسكر، فإذا بطبي قد أقبل حتى مرَّ بأصحاب أبي مسلم فوثبوا إليه فأخذوه.

-وبإسناد أحمد رضي الله عنه أن الناس قحطوا على عهد معاوية رضي الله عنه، فخرج يستسقي بهم، فلما وصلوا إلى المصلى قال معاوية لأبي مسلم:

-قد ترى ما حلَّ بالناس! فادع الله تعالى. فقال: أفعل على تقصيري؟! فقام وعليه برنس، فكشف البرنس عن رأسه ثم رفع يديه ثم قال:

-اللهم إنّنا منك [نستمطر]، وقد جئت إليك بذنوبي، فلا تخيبي، فما انصرفوا حتى سقوا، فقال أبو مسلم: اللهم إن معاوية أقامني مقام [ص 179] سمعة، فإن كان لي عندك خير فاقبضني إليك. وكان ذلك يوم الخميس، فمات أبو مسلم يوم الخميس المقبل، رضي الله تعالى عنه.

-وبإسناد الحافظ أبي طاهر السلفي، عن شرحبيل بن مسلم أن الأسود بن قيس العنسي الكذاب، لما ادعى النبوة باليمن بعث إلى أبي مسلم الخولاني! فلما جاءه قال: أتشهد أني رسول الله؟! قال: ما أسمع قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. فردد ذلك عليه، فأمر بنار عظيمة فأججت! فألقى فيها أبا مسلم فلم تضره.

-ف قيل: انفه عنك وإلا أفسد عليك من تبعك؟ فأمره بالرحيل.

-فأتى أبو مسلم المدينة وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخلف أبو بكر رضي الله تعالى عنه، فأتاخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد، فقام يصلي إلى سارية، فبصر به عمر رضي الله عنه فقام إليه فقال: من الرجل؟

-فقال: من أهل اليمن، قال: فلعلك الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذلك عبد الله بن ثوب. قال: نشدتك الله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، فاعتنقه ثم بكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهم فقال:

-الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به
كما فعل بإبراهيم [عليه الصلاة والسلام] خليل الرحمن.
-قلت: هذا من جل الكرامات، وأنفس الأحوال الباهرات.
وقوله: لا أسمع! يحتمل وجهين: أحدهما معناه: لا أقبل، والثاني: أنه على ظاهرة وأن
الله تعالى سد مسامعه عن هذا الباطل الشديد الفحش. [ص 180]
وقد اقتصر بعض الأئمة على الاحتمال الأول، والاحتمال الثاني عندي أظهر.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

فصل في منثور حكايات في المواهب والكرامات.

[عبد الواحد بن زياد]

-وقال أحمد بن أبي الحواري في كتاب الزهد له: حدثني أبو سليمان قال: كان عبد
الواحد بن زياد رضي الله عنه، أصابه الفالج فسأل الله عز وجل أن يطلقه في أوقات
الوضوء، فكان إذا كان وقت الوضوء قام من سريره حتى يذهب فيتوضأ، فإذا عاد إلى
سريره عاد إليه الفالج [والله أعلم].

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

فصل في منثور حكايات في المواهب والكرامات.

[سهل بن عبد الله]

-[ورويانا بإسنادنا السابق للقشيري رحمه الله قال: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول:
سمعت أبا نصر السراج يقول: دخلنا ستر فرأينا في قصر سهل بن عبد الله رحمه الله بيتاً

كان الناس يسمونه بيت السباع، فسألنا الناس عن ذلك فقالوا: كانت السباع تجيء إلى سهل فكان يدخلها هذا البيت ويضيفها ويطعمها اللحم ثم يخليها! قال أبو نصر: ورأيت أهل تستر كلهم متفقين على هذا وهم الجمع الكثير]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب في كرامات الأولياء ومواهبهم.

فصل في منشور حكايات في المواهب والكرامات.

[أبو الخير التيناتي]

-وروينا في [رسالة] الإمام أبي القاسم القشيري بإسنادنا إليه قال: سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت حمزة بن عبد الله العلوي يقول: [ص 181]

-دخلت على أبي الخير التيناتي رحمه الله وكنت اعتقدت في نفسي أن أسلم عليه وأخرج ولا آكل عنده طعاماً، فلما خرجت من عنده ومشيت قدراً، وإذا به أتى خلفي وقد حمل طبقاً عليه طعام وقال: يا فتى! كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك. قال: وأبو الخير هذا مشهور بالكرامات.

-حكى عن إبراهيم الرقي قال: قصدته مسلماً عليه، فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستوياً! فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي! فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت إليه وقلت: إن الأسد قصدني، فخرج وصاح على الأسد وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني! فتنحى وتطهرت، قلما رجعت قال: اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد.

-قلت: قد يتوهم من يتشبه بالفقهاء ولا فقه عنده أن صلاة أبي الخير هذا كانت فاسدة لقوله: لم يقرأ الفاتحة مستوياً!.

-وهذه جهالة وغباوة ممن يتوهم ذلك، وجسارة منه على إرسال الظنون في أولياء الرحمن. [ص 182]

-فليحذر العاقل من التعرض لشي من ذلك؛ بل حقه إذا لم يفهم حكمتهم الاستفادة، ولطائفهم المستجادة، أن يتفهمها ممن يعرفها، وكل شيء رأيت من هذا النوع مما يتوهم من لا تحقيق عنده أنه مخالف ليس بمخالف مخالفاً؛ بل يجب تأويل أفعال أولياء الله تعالى، وجواب هذا من ثلاثة أوجه:
الأول: لا يفسد الصلاة بالاتفاق.

الثاني: أنه مغلوب على ذلك بخلل في لسانه فتصح صلاته بالاتفاق.
الثالث: أنه لو لم يكن له عذر، فقراءة الفاتحة ليست بمتعينة عند أبي حنيفة وطائفة من العلماء، ولا يلزم هذا الولي أن يتقيد بمذهب من أوجبها؛ ورأيت بخط الشيخ رضي الله تعالى عنه. [ص 183]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

باب (في حكايات مستظرفة)

قد جمعت كرامات لبعض الرجال وقد جعلت لكل واحد منهم مطلباً.
-اعلم أن هذا الباب وإن لم يكن من أبواب الزهد فهو مما تستريح النفس به إذا ملت.
وكأن الزاهد قد يحتاج إلى أحاديث غيره مما لا يؤثر في الزهد ولا يفهم كثيراً، فربما يتحدثوا في أمور الناس وانجر بهم الكلام، إلى الحديث في حرام من غيبة ونحوها.
-فإذا اشتغلوا بهذا انبعثت نفوسهم لسماعه واشتغلوا به من غيره من القبيح، ومع هذا فلا تخلو هذه الحكايات التي أذكرها إن شاء الله تعالى من فوائد ينتفع بها طالب الآخرة، وبالله التوفيق.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[سليمان بن حرب والمأمون]

-روينا عن أبي حاتم الرازي الإمام أحد أركان الحديث قال: حضرت مجلس سليمان بن حرب رحمه الله ببغداد، فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل.

-وكان مجلسه عند قصر المأمون، فبني له منبر وصعد سليمان وكان المأمون فوق قصره، وقد فتح باب القصر، وقد أرسل ستراً وهو خلفه يكتب ما يملي سليمان!. [ص

[184

-فسئل عن أول شيء حدثت حوشب بن عقيل فلعله قد قال:

-حدثنا حوشب بن عقيل، أكثر من عشر مرات وهم يقولون: لا نسمع حتى قالوا: ليس الرأي إلا أن يحضر المستملي، فذهب جماعة فأحضروه فلما حضر قال: من ذكرت؟ فإذا صوته خلاف الرعد. فسكتوا وقعد المستملون كلهم واستملي المأمون، قال أبو حاتم: لا يسأل عن حديث إلا حدث من سمعه.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[القاضي أبو عبد الله المحاملي]

-وذكر أبو سعيد السمعاني: أنه كان يحضر مجلس إملاء الإمام القاضي أبو عبد الله المحاملي عشرة آلاف رجل.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[شهاب الدين السهروردي وجمال الدين]

-رأيت بخط الشيخ رحمه الله في مواضع مفرقة: سمعت شيخنا وسيدنا الإمام الحافظ زين الدين رضي الله تعالى عنه مرتين، آخرهما يوم الأربعاء الثالث من شهر رمضان المعظم سنة سبع وخمسين وستمئة، يقول: وعظ الشيخ الجليل شهاب الدين السهروردي رضي الله تعالى عنه بدمشق حماها الله تعالى وصانها، فقرأ القرآن الأعز بن إبراهيم بن محمد الممدوح بن علي الربيني بن عبد الله الجواد بن جعفر، فتواجد الشيخ وخلع أثوابه، فاشتراها منهم جمال الدين للتبرك بخمسمائة درهم!.

-وكان رضي الله عنه لا يضيع من أوقاته شيئاً؛ بل لا يزال مشغولاً بالصلاة والقراءة والذكر، رضي الله تعالى عنه.

-وكان شيخنا - رضي الله عنه - لبس منه خرقة وصحبه مدة في بغداد بالرباط رضي الله عنهما. [ص 185]

-سمعت شيخنا وسيدنا الإمام الصالح العارف بقية شيوخ الطريقة؛ شرف الدين أبا إسماعيل محمد بن إبراهيم بن صري بن هرماس بن نجار بن عقيل بن جابر بن حكام بن حكمة بن يوسف بن جعفر الطيار بن أبي طالب.

-وهذا نسبه أملانيه يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان سنة تسع وخمسين وستمئة بالمدرسة الرواحية بدمشق حماها الله تعالى وصانها. سمعته يقول عن الشيخ الفقيه الإمام الصالح محمد البرسي، قال: نظر الحافظ عبد الغني ونحن جماعة فيهم يفتون، فلما وضع رجله إلى درجة الكرسي قلت في نفسي: بأي شيء فضلك الله علينا؟ فالتفت إليّ وقال:

-يا مدبر من خُدم خُدم! من خُدم خُدم! من خُدم خُدم، فقلت: آمنت بالله.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[كرامة لصاحب المهذب]

-وسمعت سيدنا الشيخ كمال الدين سلار حفظه الله تعالى يحكي عن بعض الفقهاء أنه وضع المهذب تحت رأسه ونام، فاحتلم في منامه!.

-ورأى الشيخ أبا إسحاق مصنف المهذب في المنام فدفعه برجله وقال له: اقعد ما يكفيك أنك وضعت المهذب تحت رأسك، ثم صرت جنباً! أو كما قال. [ص 186]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[كرامة في تكثير القليل]

-سمعت شيخنا وسيدنا الإمام الفاضل، والعلامة البارع عز الدين أبا جعفر عمر بن أسعد بن أبي غالب الأيلي المفتي الشافعي - رحمه الله - يوم الثاني من شعبان سنة تسع وخمسين وستمائة بالمدرسة الرواحية بدمشق، حماها الله وصانها، وسائر بلاد الإسلام وأهلها آمين. يقول: قال بعض الفقهاء: كتب الشيخ كتاب نهاية المطلب، وكان لي عادة أن أكتب في الليل أوراقاً معلومة، فكنت ليلة أكتب فنظرت إلى السراج فوجدت زيتته قليلاً لا يكفيني لتمام الوظيفة، قال: واشتغلت بالكتابة وذهلت عنها، فما ذكرت ذلك حتى كتبت الوظيفة فعددت الأوراق، فلما فرغت من عددها وذكرت دعائي فنظرت إلى السراج فانطفأ مع نظري إليه! أو كما قال. [ص 187]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[نجم الدين عيسى الكردي]

-توفي إلى رحمة الله تعالى ورضوانه الشيخ الفقيه نجم الدين عيسى الكردي الشافعي،
سنة ست وخمسين وستمائة أظنه في شعبان. وكان فقيهاً بالمدرسة الرواحية صانها الله
تعالى بمدينة دمشق حماها الله تعالى، وصرف عنها كل قاصد لها بسوء، وأدامها دار
الإسلام أبداً وسائر بلاد الإسلام وأهلها.

-فرايته في المنام بعد موته بأيام، بعد ليلة الجمعة وعرفت أنه قد مات، فسلمت عليه
وقلت له: أحييت يا نجم الدين وجئت؟! .

-وقلت له: قد قال الغزالي في "كتاب الموت" من كتاب إحياء علوم الدين: إنَّ الموت
أمر عظيم، ولم يأتنا أحد بعد الموت يخبرنا عن حقيقته، ولا يعرف حقيقته إلا من ذاقه،
ثم قلت: أخبرنا عن حقيقة الموت! فقال: هو وإن كان صعباً لكنه لحظة يسيرة، ثم
تنقضي. قلت: فما كان حالك بعده؟ فقال: هناك يعني عند الله تعالى خير كثير، كأنه
يشير إلى أن حالته حسنة بفضل الله تعالى، وإن رحمة الله تعالى مؤخرة! أو كما رأيت.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[شمس الدين محمد النووي]

-ومات في هذه السنة الفقيه شمس الدين محمد النووي رضي الله تعالى عنه، وعليه
قرأت الختمة الشريفة، فرايته في المنام - رحمه الله - بعد موته، فعرفت أنه ميت
فقلت: ما حالك يا شمس الدين أنت في الجنة؟ فقال: اليوم لا ندخل الجنة، إلا بعد قيام
الساعة؟ فقلت له: صدقت! فإنه لا يدخل الجنة اليوم إلا الأنبياء صلوات الله وسلامه
عليهم والشهداء، وأما غيرهم فينعم في غيرها قبل مجيء الآخرة، ثم يدخلون الجنة بعد
قيام الساعة كما جاءت الشريعة. [ص 188]

-ثم قلت له: قد جاء أن الروح ترجع إلى البدن قبل مسألة منكر ونكير، متى رجوعها إلى
الجسد بعد الوضع في القبر أو قبله في حال حمل الميت في النعش؟ فقال: بعد الوضع

في القبر. رحمه الله وإياي ووالدينا ومشايخنا ومن نفعنا من أصحابنا ومن أسأنا إليه وسائر المسلمين آمين.

***** نظر في الكتاب: *****

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[ما نقله العارف شمس الدين عن شيخين مجهولين]

-سمعت صاحبنا الشيخ الإمام الزاهد الورع العارف شمس الدين يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وستين وستمئة بالخانقاه الشميصاتية بدمشق حماها الله تعالى يقول:

-جرى من أيام - يعني قليلة - كلام بين شيخين إمامين من أصحابنا شهود، ما عينهما لي، ولا أوتر أنا ذكرهما، قال: وجرى بينهما مباحثة في أن القرآن في المصاحف والصدور لا على سبيل الحلول كما قاله أصحابنا، وأن نفس الحبر المكتوب ليس هو الكلام القديم، بل دال عليه.

-ثم إنهما طلبا الإرشاد لإمام الحرمين لينظرا ما ذكر فيه فنظراه ثم انصرفا. فرأيت في تلك الليلة كأن بحراً في وسطه شيء، وذلك الشيء هو مطلوب الناس، وجميع علماء المسلمين يحيطون به، ينظرون إلى ذلك الشيء شاخصون إليه لا يدرون ما هو، لو لا يدركونه. قال: ورأيت إمام الحرمين دخل بين الناس، وشمر ثوبه ودخل في ذلك البحر نحو خمسة عشر ذراعاً، ثم لم يقدر على مجاوزته! فوقف هناك كما هو، وسائر العلماء كما هم يحيطون بالبحر ناظرون إلى ذلك الشيء. [ص 189]

قال: ووراء العلماء خلق كثير ممن كان يشتغل بعلوم الأوائل، أعني العلوم العقلية كعلم الهيئة وعلم المنطق، وأصول الدين، ومن كان يشتغل بالخلاف ممن ينسبون إلى قلة الدين، وترك الصلاة، وسوء الاعتقاد، وهم من أعرفهم! فرأيتهم كلهم وراء الناس، وهناك كلاب تبول على جميعهم.

-وعين لي منهم إنسان أعرفه أنا ممن كان فنه الخلاف حسب ونسب إلى قلة الدين لا
أوثر أنا تعيينه قال: رأيتُه سكران؟ أو كما قاله شرف الدين.

نسأل الله الكريم المنان ذا العظمة والسلطان، والفضل والامتنان، الرؤوف الرحمن، أن
يحسن العاقبة لنا ولوالدينا ومشايخنا وأصحابنا ومن نحب والمسلمين أجمعين. آمين.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[أبو يعقوب الكرامي]

وذكر السمعاني في الأنساب أبا يعقوب إسحاق بن ممشاد الزاهد الكرامي، كان حسن
الوعظ فأسلم على يده خمسة آلاف رجل وامرأة من أهل الكبائر والمجوس.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[عبد الله بن عمر بن ميسر]

-وروينا عن الإمام أبي بكر الأتباري قال: سمعت أحمد بن يحيى - يعني أبا العباس -
يقول: سمعنا من القواريري مائة ألف حديث؛ يعني بالقواريري: عبد الله بن عمر بن

ميسر أبا سعيد الحشمي مولاهم البصري ثم البغدادي. [ص 190]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[ما نقله الشيخ بدر الدين خلكان الإربلي]

-ورأيت بخط الشيخ - رحمه الله - تعليقاً في مواضع متفرقة سمعت شيخنا القاضي الإمام مجموع أنواع الحسنة، بقية الشيوخ والعلماء: بدر الدين أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن خلكان الإربلي الشافعي رضي الله تعالى عنه، يوم الأربعاء السادس عشر من رجب سنة ستين وستمائة يقول:

-رأيت امرأة يظنها قال: سالحة، ومعناه حفظت القرآن العزيز كله في سبعين يوماً!.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[كمال الدين سلار]

-سمعت شيخنا قاضي الإسلام كمال سلار رضي الله تعالى عنه يقول: حفظت التنبيه في أربعة أشهر!.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[ما أحصاه الشيخ البتليسي عن تأليف الإمام الغزالي]

-سمعت شيخنا البتليسي - حفظه الله - مرات يقول: أحصيت كتب الغزالي - رحمه الله تعالى - التي صنفها ووزعت على عمره فخصت كل يوم أربع كراريس! وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة).

[تصانيف الشافعي والأشعري رضي الله عنهما]

-قلت: ومن المشهورين بكثرة التصنيف إمامنا أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، والإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله تعالى عنهما، وقد عدد الإمام أبو بكر البيهقي - رحمه الله تعالى - مصنفات [ص 191] الشافعي، وعدد الإمام حافظ الشام؛ بل حافظ الدنيا أبو القاسم المعروف بابن عساكر - رضي الله تعالى عنه - في كتابه: تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تصانيف الأشعري أنها نحو ثلاثمائة تصنيف.

-سمعت شيخنا وسيدنا الإمام الجليل والسيد النبيل، الحافظ المحقق والمقتبس المدقق، الضابط المتقن، والمشفق المحسن، الورع الزاهد، والمجتهد العابد، بقية الحفاظ المفتي شيخ الأئمة والمحدثين: ضياء الدين أبا إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي يقول في يوم الأربعاء السادس من شوال ثمان وخمسين وستمئة بالمدرسة البادرائية بدمشق حماها الله وصانها قال: سمعت الشيخ عبد العظيم رحمه الله يقول:

-كتبت بيدي تسعين مجلدة، وكتبت سبعمائة جزء، كل ذلك من علوم الحديث، تصنيف وغيره؛ وكتب ذلك من مصنفاته وغيرها أشياء كثيرة.

قال شيخنا: ولم أر ولم أسمع أحداً أكثر اجتهاداً منه في الاشتغال، كان دائم الاشتغال في الليل والنهار.

-قال: وجاوزته في المدرسة - يعني بالقاهرة - حماها الله بيتي فوق بيته اثني عشر سنة، فلم أستيقظ في ليلة من الليالي، ساعة من ساعات الليل إلا وجدت ضوء السراج في بيته وهو مشتغل بالعلم! وحتى كان في حال الكل والكتاب والكتب عنده يشتغل فيها!.

-وذكر من تحقيقه وشدة بحثه وتفننه ما أعجز عن التعبير عنه، قال: وكان لا يخرج من المدرسة لا لعزاء، ولا لهناء، ولا لفرجة، ولا لغير ذلك، إلا لصلاة الجمعة، بل يستغرق كل الأوقات في العلم. رضي الله تعالى عنه وعن الدينا والمسلمين. [ص 192]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة.)

[ضياء الدين شيخ المؤلف]

-سمعت شيخنا ضياء الدين رضي الله تعالى عنه يقول: كتبت صحيح البخاري في ست مجلدات بقلم واحد، ولكن كنت أبريه، وكتبت بذلك القلم أشياء بعد البخاري وذلك بمدينة القاهرة حماها الله تعالى.

-قال ابن قتيبة في أدب الكاتب: برت القلم أبريه برياً.

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة.)

[أبو بكر الكتاني]

-قال أبو سعيد السمعاني في كتاب الأنساب: ختم الشيخ أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني في الطواف اثني عشر ألف ختمة ومات سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة.

كُرِّرَ عليّ حديثهم يا حادي *** فحديثهم يجلي الفؤاد الصادي [ص 193]

*** نظر في الكتاب: ***

[بستان العارفين للإمام النووي].

باب (في حكايات مستظرفة.)

[عز الدين الإربلي]

-سمعت شيخي وسيدي الإمام العلامة المفتي المدقق المتقن مجموع أنواع المحاسن: عز الدين أبا حفص عمر بن أسد بن أبي غالب الإربلي الشافعي رضي الله تعالى عنه مرات آخرها يوم الجمعة الرابع والعشرين من رجب سنة تسع وخمسين وستمائة يقول: كل عامل لله عز وجل بطاعة، فهو ذاكر الله عز وجل.

*** نظر في الكتاب: ***
[بستان العارفين للإمام النووي].
باب (في حكايات مستظرفة).

ثم رأيت منقولاً في شرح السنة لأبي محمد البغوي منقولاً عن سعيد بن جبير رضي الله عنه.

[هذا آخر ما وجد رضي الله تعالى عن مؤلفه ولي الله الشيخ محي الدين النووي، رضي الله تعالى عنه وعننا وعن والدينا ومشايخنا وأصحابنا وجميع المسلمين، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، صلاة وسلاماً متلازمين إلى يوم الدين]. [ص 194]

*** نظر في الكتاب: ***
. وللختام كلمة .

وللختام كلمة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، حمداً يليق بجلال الله العظيم.
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.
وبعد؛ لقد تمّ بعون الله تعالى وحسن توفيقه - تصحيح هذا الكتاب القيم: "بستان العارفين" للإمام النووي رضي الله عنه وتغمده برحمته، وذلك على يد العد المفتقر إلى عفو ربه تعالى: عبد الغني بن محمد بن أحمد نكمي - غفر الله له ولوالديه، ولمشايخه ولمن له حق عليه، ولجميع المسلمين - في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة الحرام - يوم عرفة - سنة أربع وأربعمئة وألف من الهجرة، في جامع العثمانية بمدينة حلب المحمية، سلمها الله وسائر البلاد الإسلامية آمين.

اللهم افتح لنا بخير، واختم لنا بخير، واجعل ختامنا مسكاً.
وصلى الله على سيدنا محمد، صلاة دائمة، كلما صَلَّى عليه المصلُّون، وغفل عن
الصلاة عليه الغافلون.

{دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب
العالمين}.

نهاية الكتاب

انتهى الكتاب بكامله لمشروع المحدث، والحمد لله